منشىء المجلة
انطون الجميّل
الزهور
المدير المسؤول
امين تقي الدين
الجزء الرابع يونيو (حزيران) ١٩١٣ السنة الرابعة

معاهد التعليم

« في مصر »

وقعت الينا نسخةٌ من كتاب « الاحصاء السنوي العام للقطر المصري » وهو الكتابُ الذي أخذتْ تنشرهُ منذ أربع سنوات ادارة الاحصاء الأميرية . فوقفنا فيهِ عند الفصل الذي يبحث في المدارس وما يتعلَّقُ بها ، لأنَّ الأذهان منصرفة في الآونةِ الحاضرة الى معاهدِ التعليم ؛ وأفكار التلاميذ ووالديهم حائمةٌ حولَ الامتحانات التي جرت أخيراً لنيل الشهادتين الابتدائية والثانوية ؛ والجميع يتسقَّطون أخبار النتيجة النهائية ، إذ ان مستقبل الفريق الكبير من الناشئة متوقفٌ على تلك النتيجة

طالعنا الفصل المذكور مرتاحين الى ما أظهرتهُ لنا الأرقام الموجودة فيهِ من دلائل التقدُّم والتحسينِ المستمرّ في معاهدنا العامية ، من حيث ترقيها وازدياد عددها ، وتكاثر الطلاَّب المقبلين عليها . وقد طالما سمعنا في المدَّة الأخيرة إطناباً جمَّاً في ارتقاء المعارف في ربوعنا ، وثناءً وافراً على

النهضة الأدبية في مصر ، على اننا لم نر للدلالة على هذه النهضة وذلك الارتقاء ، أبلغ برهاناً وأنصع بياناً من الأرقام التي جمعناها عن مدارسنا وعددها وعدد أساتذتها وتلاميذها ؛ وها نحن نعرض على القراء نتيجة بحثنا على الصورة الآتية :

نوع المدارس	عددها	عدد اساتذتها	تلاميذها		مجموع التلاميذ
			ذكور	اناث	
مدارس الحكومة	٧٠	١٠١٤	١٤٢٢٢	٧٥١	١٤٩٧٣
« الاوقاف	١٩	٩٧٧	١٧٨٧٧	١٨٢	١٨٠٥٩
مدارس مجالس المديريات ومدارس تساعدها الحكومة	٧٤	٦٤٦	٧٥٠١	١٧٤١	٩٢٤٢
مدارس حرّة	٤٢٨	٢٥١٠	٤٥٩٩٦	١٠٥٢٧	٥٦٥٢٣
كتاتيب الحكومة	١٤٦	٥٠٧	٩٩٠١	٥٢٦٨	١٥١٦٩
كتاتيب حرّة	٣٥٥٦	٧٤١٤	١٩١٦٨٧	١٨٧٥٨	٢١٠٤٤٥
مدارس أجنبية	٤٧٩	٢٧٦٩	٣٣٥٩١	٢١٠٧٤	٥٤٦٦٥
المجموع	٤٧٧٢	١٥٨٣٧	٣٢٠٧٧٥	٥٨٣٠١	٣٧٩٠٧٦

فيؤخذ من هذا الجدول أن عدد المدارس في القطر المصري بين أميرية وحرّة ، وأهلية وأجنبية ، يبلغ ٤٧٧٢ . وفيها الكتّاب والمدرسة الثانوية والابتدائية ، والمدارس الصناعية ، والمدارس العالية للطب والحقوق والزراعة والتجارة الخ . ويبلغ عدد المختلفين اليها ٣٧٩,٠٧٦ تلميذاً وشاباً يردون فيها موارد العلم الصافية ، ويستقون منها مناهل الآداب العذبة ، حتى تنمو في صدورهم ثمار المعارف والفضيلة ، فيكونوا لبلادهم وأمتهم فخراً ومجداً

هذاعدا الذين يتلقون العلم في جامعات اوربا وكلياتها الكبرى سواء كان في ارساليات الحكومة ، أو على نفقتهم الخاصة ، وليس هؤلاء بالعدد القليل

وبمثل هذا الجيش من الطلبة والشبيبة المتعلمة يتعزّز مقام الأمم ، وترفع رايتها ، ويزداد عمرانها وفلاحها

أما عدد الاساتذة فقد بلغ ١٥،٨٣٧ . وكفانا لبيان خطورة المهمة الملقاة على عاتقهم إيراد ما قالهُ بسمرك داهية الالمان اثر انتصارهِ على فرنسا في حرب السبعين : «اننا غلبنا جارتنا بمعلم المدرسة» . فعلى الحكومة والحالة هذه ان تمهد لبلادها سبل الانتصار في معترك هذه الحياة بانتقاء اساتذة المدارس الأميرية من نخبة الرجال ادباً وفضلاً وعلماً ، وان تعني بوضع قانونٍ يضمن توفر هذه الشروط في اساتذة المدارس الحرَّة

ومما يراهُ القارئ أيضاً في الجدول الذي قدّمناهُ ان للاجانب ٤٧٩ مدرسة في القطر المصري يدرس فيها ٥٤،٦٦٥ طالباً وطالبة . وهذا العدد هو تقريباً سُبْعُ مجموع التلاميذ في مصر ، وهي مأثرةٌ تذكر للاجانب مع الشكر الوافر

أما احصاء هذه المدارس الأجنبية من حيث عددها ، فأن للاميركان منها ١٨٨ مدرسة ، وللفرنسويين ١٥٢ ، وللايطاليين ٤٩ ، ولليونان ٤٢ ، وللانكليز ٣٠ ، وللنمسويين ٨ ، وللهولنديين ٢ ، و ٣ لامم مختلفة . وأما من حيث عدد التلاميذ فان المدارس الفرنسوية تأتي في مقدّمة المدارس

الأجنبية ، اذ ان عدد تلاميذها ٢١,٠١٩ ، وتليها مدارس الاميركان وعدد تلاميذها ١٤,٧٤٩

* * *

هذه حالة معاهدنا العامية مثبتة بالأرقام المأخوذة من أوثق المصادر. وقد رأينا تكملةً للفائدة ان نقارنَ بينها وبين ما جمعنا من الأرقام عن حالة تلك المدارس منذ اربع سنوات ليتبين القارئ درجةَ الترقي والتقدُّم التي بلغتها في هذه المدّة من الزمن . واليك المقابلة بينَ الحالتين :

السنة المدرسية	عدد المدارس	عدد التلاميذ	ذكور	أناث
١٩٠٧ — ١٩٠٨	٤٠٩٤	٢٩٤,٩٣٧	٢٥٣,٩٢٣	٤١,٠١٤
١٩١١ — ١٩١٢	٤٧٧٢	٣٧٩,٠٧٦	٣٢٠,٧٧٥	٨٥,٣٠١

ومن هذا الجدول يُستدلُّ أنَّ عدد المدارس زاد في اربع سنوات ٦٧٨ مدرسة ، بمعدَّل ١٦٩ أو ١٧٠ مدرسة جديدة في السنة . وهذه نتيجة تبهج وتسرّ . ومن المعلوم ان من يفتح مدرسة يقفل سجناً

أما مجموع عدد التلاميذ ، فقد زاد في المدة نفسها ٨٤,١٣٩ اي بمعدَّل ٢١,٠٣٥ تلميذاً في السنة وهو عددٌ لا يستهانُ بهِ ترك جيوش الجهل لينضمّ الى جيش النور والعرفان . واذا أخذنا عدد التلاميذ منذ اربع سنوات نجد ان نسبة الطالبين الى المجموع هي نسبة ٨٦,٠٩ الى ١٠٠ ونسبة الطالبات الى نفس ذلك المجموع هي نسبة ١٣,٩١ الى ١٠٠ . أما في السنة المدرسية ١٩١١ — ١٩١٢ فان نسبة الطالبين هي ٨٤,٦٢ الى ١٠٠ ونسبة الطالبات هي ١٥,٣٨ الى ١٠٠ . فيظهر من هذه المقابلة أن

نسبة التلميذات الى مجموع التلاميذ قد زادت بعض الزيادة . على انها لا تزال قليلة جداً ؛ فكأنهُ ليس عندنا مقابل كل ٨٥ تلميذاً على وجه التقريب الاَّ ١٥ تلميذة . وهذا نقصٌ في إدارة التعليم عندنا يجب التذرّع بأنجع الوسائل لملافاتهِ ، لأنه لا يخفى ما يترتب على هذا الفرق البيّن من الأضرار . فاننا اذا أعددنا فتياناً متعلمين ، يجب ان نهيء لهم فتياتٍ متعلمات يفهمنَ أفكارَهم ، ويُدركنَ عواطفهم ، فيشاركنهم في الحياةِ مشاركةً حقيقية . وشأن المرأة في تدبير المنزل وتربية العائلة معروف لا حاجة بنا الى تفصيله في هذا المقام . ولا شكَّ في ان هذا التقصير في تعليم البنات هو السبب الاكبر لإعراض شباننا عن الزواج أو للبحث عن شريكة حياتهم بين الأجنبيات . والنساء نصف الأمة . فهل تُعَدُّ الأمة متعلمةً راقيةً اذا علّمنا نصفها ، وأهملنا — أو كدنا — النصفَ الآخر

هذا ، واذا ظلَّ التقدّم في معاهدنا مطرداً على هذه النسبة ، أي بزيادة ١٧٠ مدرسة و ٢١,٠٣٥ تلميذاً في السنة ، فانَّهُ لا يمضي على مصر زمنٌ طويل حتى تصبحَ في مصاف البلاد الراقية في آدابها ومعارفها وعلومها ، ولاسيما اذا لاحظنا العناية بتنقيح برنامج الدروس شيئاً فشيئاً وتطبيقهِ على حاجات الزمان والمكان . وقد رأينا من وزير معارفنا المفضال احمد حشمت باشا همةً تُذكر لهُ مع الشكر الجميل في مواصلة السعي وبذل الجهد للوصول الى هذه الغاية الجليلة في هذا العصر ، عصر المنافسة في مضمار العلوم والآداب

امام مهدها . . .

كتبها ولي الدين في طفلة له رآها
تحتضر وهي في الشهر الثالث من عمرها

أَقصرتْ عنكِ وسائلُ العناية ، وخابت في استبقائكِ آمال القلبين المشفقين اللذين طال خفوقهما عليكِ في الليالي الطويلة . وها أنتِ اليوم على وشك التوديع . لم تتعلمي ما يقولُ المودّعون ، لأنكِ لم تبلغي سنَّ القول . ولستِ تفهمين ما يُقال فيكِ ، لأنكِ لم تصلي الى زمن الفهم

أشفقتُ عليكِ من أَوجاع تُحسّين بها ولا تُدركينها . ثلاثةُ أشهرٍ ، كثلاثِ طرفاتٍ بالجفن ، مضت وكأنها لم تكن . ليت الشفاهَ التي لامست قبلاتها تينك الوجنتين الذابلتين جفّت قبلَ أن تكونَ ممرًّا للتأوُّهِ . . ! وليت تلك الانفاس التي سرتْ على وجهكِ الغضّ التهبت في احشائنا قبل ان تنقلب زفرات . . !

أعددتك ذخراً ، واذا بكِ مسلوبة . ظننتكِ لي ، فاذا بكِ للثرى . لهفي عليكِ اذ تذهبين ، ولم تري من سطوري ما يكون لكِ عظةً من بعدي ! بل لهفي عليَّ إِذْ أَستندي عيونَ النيّرات بمصراعٍ ارتجالهُ ، وأنا أطلبُ اليومَ فيكِ كلامَ الرثاء ، فلا تساعفني المعاني

إن يخطئكِ الحمام ، وهيهات ما أظنهُ فاعلاً ! فقد أبقى لي الدهرُ أملاً كاد يزمع الرحيل . وإِنْ يأخذكِ كما اخذ اجدادَكِ وجدّاتكِ من قبل ، فقد اسرعتِ في قطع طريق يتظالع في قطعها الخلائق

أتيتِ نقيةً ، وتذهبين نقية ، كقطرة الطلّ على ورقةٍ من الورد ، تلمعُ بكرةً ، ولا تلبث ان تُستطار بخاراً .

بين نوحات الثاكلات ، وترجيع الحمائم بالاسحار ، وبكاء السماء ، وابتسام الارض تضادٌّ يغيظ الموجع . لا أشكو شيئاً فيكِ ؛ ولكني استبقيه لأعتصر منهُ ذوبَ الشجون ، ولأخاطبَ بهِ نفسي ناصحاً كلما غلبت عليها غفلات هذه الدار ، وكادت تكون لها فتنة . لا استطيع دفعاً لشيءٍ يسوقهُ المقدور ، ولكني وفيٌّ اضمن لكِ ألاَّ يلتام جرح يومك هذا

تزولين أنتِ وتبقى ذكراكِ . كذلك الحياة ، تزول الهيولى وتبقى الصوَر . . .

ولي الدين يكن

الاغاني في الحروب

ذهب فريق من العلماء الى أنّ منشأ اللغات الغناء . لأن الغناءَ في عرفهم هو صورة الخيال الواقعة تحت الحس ، أو استفاضة مما في النفس عند امتلائها . وفي تاريخ الاقدمين ان امفيون باني اسوار طيبة كان يدفع العمال الى العمل بجد ونشاط بالغناء والاناشيد ، ألا تراهم في مصر يفعلون ذلك حتى الآن ؟ وفي اساطير اليونان ان الشعب انتصر في معركة سلامين باغاني سولون ، فنجى البلاد بعد سقوطها . وفي التوراة ان الاسرائيليين كانوا اذا خرجوا لحربٍ يسير مغنوهم أمامهم . وفي التاريخ الحديث ان الفرنساويين لما سمعوا انشودة «المرسيليز» سنة ١٧٩٢ ، وقد

اجتاح العدوُّ بلادهم ، وقبض على ناصية أرضهم ، تولتهم الحماسة ، وهزَّتهم النخوة ، فألفوا صفوفهم الممزَّقة ، وقوَّتهم الضائعة ؛ فبرز ضعافهم أشداء ، وجبناؤهم شجعاناً ، ومتطوعتهم منتظمة ، فانتصروا

وفي وصايا بولس رسول النصرانية « رتلوا وغنوا » الصلاة . وفي الآيات القرآنية : « ورتلِ القرآن ترتيلاً » ، وفي التوراة نشيد الاناشيد ، وفي اخبار داود انه ما كان يزيل كربته اذا ذكر أمرُ شاوول الاّ الغناء

وفي اخبار السحرة والعرّافين انهُ ما استأثروا الالباب ولعبوا بالعقول إلا بعد ترويضها بالغناء . ويؤكد هوراس أنّ مصر تقدَّمت غيرها من أُمم الأرض بالمدنية والحضارة ، لانها تقدَّمت غيرها بالغناء . وفي اقوال أحد شعراء الفرنساويين :

(اذا تآخت الأَصوات ، دنت القلوب من الوئام)

واذا اجتمع الناس لامرٍ ، لا تتفق عواطفهم ولا تتحد أميالهم الاّ اذا اتحدت اصواتهم بانشودةٍ واحدة

وكان الاطباء يداوون المرضى بالاغاني . وروى هوميروس وبلوتارك أن القدماء كانوا اذا جلسوا بعد الاكل والقصف يغنون فيفثأون من ثمولهم

ومن أقوال لوبز في الغناء انهُ في الكلام كاللون في الصور

ومن الاغاني ما يبكي ويرقق ، وهو لما كان من الشعر في الغزل والشوق الى الوطن والبكاء على الشباب والمراثي والزهد . ومنها ما يطرب ، وهو لما كان في نعت الشراب ، وذكر الندماء والمجالس والصبوح والدساكر . ومنها ما يشوقُ وترتاح اليـهِ النفس كصفة الازهار والاشجار

والمتنزهات والصيد ؛ ومنها ما يسرُّ ويُفرح ويحث على الكرم والجود ، وهو لما كان في المديح والفخر وصفة الملوك

ومنها ما يشجّع وهو لما كان في الحرب وذكر الوقائع والغارات والاسرى والنصر والفوز والفخر

ولكل امة أغانيها وأناشيدها ، ومن هذه الاناشيد والاغاني تعرف عاداتها وأخلاقها وتاريخها وأطوارها . وتتوارث السلالات ذلك جيلاً بعد جيل ، وقرناً بعد قرن ، حتى ان نوتية المراكب في نيل مصر يغنون اليوم رعمسيس توارثاً وتقليداً بقولهم وهم يجذّفون « يا رمسو يا رمسو » وفي سوريا يلقبون أغاني الحرب والقتال بالحوربة ، ويشقون منها فعل « حورب » كما انهم يلقبون أغاني الفرح بالهوبرة ويشقون منها فعل « هوبر » ولربما ورثوا هـذه اللفظة من « هورا » الرومانية والأغريقية ، فضلاً عن « الحدو » الذي ينشدونهُ عنـد السير والمشي لا وراء القوافل والظعن فقط ، بل في كل سير سريع يتطلّب الحماسة والنشاط

وكان غزاة العرب الذين دوّخوا المشارق والمغارب اذا خرجوا لغزوةٍ أو لقتالٍ أو لحرب ، تغنوا باشعارهم الحماسية ، فيفور الدم في عروقهم وتهيج أعصابهم وتحمى نفوسهم ، ويدفعهم الفخر الى اتيان العجائب . وكانوا اذا اشتبك الأبطـال بالقتال ، وكفوا عن التغني بالاشعار يوقفون نساءهم يغنينهم ، وفي يد الواحدة منهن مقرعة تضرب بها الفـارين ، وفي يدها الاخرى قارورة ماء تسقي منها الجرحى . وهذه العادة لا تزال عادتهم في حروبهم وهي أيضاً من عادات الأرناؤوط وشعوب البلقان ، حتى قال

أحد الضباط الاوروبيين الذين شهدوا المعارك البلقانية ان الأناشيد والتغني بحكايات الأبطال كانت من أقوى العوامل في فوز البلقانيين. والشعوب السلافية تلقت هذه العادة عن الشعوب الشرقية الحربية كالعرب منذ أربعة قرون. والأغاني والأناشيد هي التي صانت قومية البلقانيين من الضياع وصانت لغاتهم من النسيان؛ فهم منها حفظوا تاريخ اسلافهم ومجد أجدادهم واسماء أبطالهم

وقد تفرّد في نظمها العميان اذ كانوا يطوفون القرى والدساكر، وينشدون هذه الأناشيد على توقيع الرباب والقزلة. واذا ذكرنا نحن أشعار عنترة والمهلهل، عرفنا كيف يكون تأثير هذه الأناشيد في نفوس الأمم وعصابات الشبان وطوائف الجند. وتاريخ الافرنج طافح بمثل ذلك بما رووهُ عن غيليوم تل والسيد ورولان

وفي حكايات الصربيين والبلغاريين حكاية بطلٍ من أبطالهم في القرن الخامس عشر يسمونهُ ماركو قره جيفيتش، كان يلبس جلد الذئب، ويتسلَّح بخنجرٍ مرصع بالذهب والفضة، ويركب جواداً يسمّى شاراتز؛ ولهم فيهِ القصائد والأناشيد التي يحفظها كبارهم وصغارهم، ويتغنون بها في البيوت والمنازل والأفراح والمآتم والحقول والمتنزهات، حتى انهُ لا يوجد طفلٌ واحدٌ بلقاني لا يتمنى ان يكون ماركو. واليك ما يقولون عنه:

« اذا ضرب ماركو بسيفهِ ترك خصمهُ شفعاً بعد أن كان وتراً

« اذا طعن ماركو برمحهِ أطار خصمهُ الى ما فوق رأسهِ

« واذا دار ماركو دورتين فلّ الجيش بدورانه »

ومن قولهم فيه ، في تخليصه الاسرى :

« يا غابتي الخضراء ، ما أذبلكِ ،

ويا مروجي الزهراء ، ما أيبسكِ ،

اصابك الزمهرير فأيبسكِ ،

أم اتقد فيك السعير فأحرقك ؟ »

فردت الغابة على ماركو بصوت خافت :

« يا بطلي المفدّى ، وأشجع بطل !

مرّ بي عربيٌّ أسود ،

وبيده سلاسل الاسر الثلاث :

في واحدة الفتيات ،

وفي الاخرى العرائس ،

وفي الثالثة الزوجات »

وفي قصيدة أُخرى تخاطب ماركو جدّته بهجر القتال الى الحرث والزرع ، فيصغي الى نصيحتها ويأخذ بزرع الحقل الى جانب الطريق ، الى ان يهبط محصلو الاعشار على الفلاحين فيسلبوهم أموالهم ومزارعهم فيترك ماركو المحراث الى السيف ويخلّص المال من سالبيه ، ثم يحمله الى اصحابهِ وهو يخاطب جدتهُ بقولهِ :

« انظري اني لحارث ،

لا الحقول ولا المزارع ،

بل طريق الملك والسلطان »

وروت احدى صحف بلغراد أنه أثناء معركة بريليب ضعف الصربيون وجبنوا وأخذوا بالتقهقر، فصاح ضابطٌ من ضباط الفرقة:

« هناك مقام ماركو وهنا وطنه فاهربوا، اهربوا الى جدار منزله »

وبالقرب من محل القتال كان موطن ماركو على ما جاء في حكاياتهم. فارتدت الفرقة الى الهجوم وقاتلت حتى انتصرت

ومن اناشيد الاروام:

« لن تصير تركية تلك الهضاب التي ينزلها الارناؤوط،

فاثناريوس حيٌّ يهزأ من الباشاوات،

فما دام الثلج يُكسو الاكام،

وما دام زهرُ الربيع يكسو المروج،

وما دامت الاودية تغصُّ بالماء،

لا نخضع ولا نستكين،

ولنجعل مغاور الذئب مساكننا،

ولنترك العبيد يسكنون الدور محني الظهور »

وفي أغاني البلغاريين ان يوجانا الفتاة البلغارية رأت موكباً لكريمة الفتاة التركية؛ فهجمت على خفر الموكب فمزّقتهُ، وقالت لكريمة شعراً:

لم يبقَ الآنِ يا كريمة

في المركبة المذهبة

فاخرجي رأسك الابيض

لأقطعه بحد الحسام »

ومنذ عشرين سنة ألَّف ملك الجبل الاسود رواية سماها « امبراطورة البلقان » ومن اشعاره فيها :

« فلتبقَ أرض البلقان ، أرضاً لشعبنا !

ولتخرج أرض البلقان ، حرَّةً من قيد الغريب !

والاَّ فالموت للبلقان ، خيرٌ من الاستعباد ! »

وقس على ماذكر ما لم نذكر من قصائدهم وأشعارهم وأناشيدهم التي أثارت الحمية في رؤوسهم اثناء القتال ، وحفظت تاريخهم وجنسيتهم وأمامهم وشجاعتهم قبل الحرب ، بل أعدَّت نفوسهم للثورات كما أعدَّتها للنصر

ونحن العرب الشرقيين عندنا كثير من هذه الأناشيد والأشعار الملأى بهـا الأسفار . ولكنَّ الأغاني في مجالسنا تُثبّط اليوم هممنا ، وتضعف نفوسنا . فهي عبارة عن ندبٍ وبكاءٍ ونواح للوصال ، وذلّ في الليل وصَغار في النهار . فهل يريد المغنون والمنشدون والناظمون والسامعون ان يخرجوا من الذلة وضعف النفس الى الفخر والحماسة والمجد ؟

لقد آن لنا ان نعرف أنَّا شعبٌ حيٌّ موجودٌ ذو تاريخ وأبطال وأقوال بل أفعال

***

وهذه الأغاني التي درج عليها المغنون العرب نُقلت عن مغني الخلفاء في بغداد ، بعد ان أخذهم الترف وتولاَّهم النعيم ، وانصرفت نفوسهم

الى اللهو والزهو والخلاعة ، كالرومان في آخر عهدهم . فنقلها عنهم الحضر وسكان المدن . ولكنَّ أهلَ البادية والجبال ظلُّوا على ما كان عليهِ آباؤهم ، ولا يزالون على ذلك حتى الآن في غنائهم وعيشتهم وتقاليدهم ونخارهم وشجاعتهم . فاذا أردنا العود الى مجدنا فلنعد الى صلب الشعب في بواديهِ وقفاره ، حيث نجد الكرم والجود والشجاعة والحماسة والنبل والشرف والعزّة والانفة   داود بركات

الجامعة المصرية

« في خمس سنوات »

في اليوم الاخير من شهر سبتمبر سنة ١٩٠٦ نشر مصطفى بك كامل الغمراوي ، احد اعيان مديرية بني سويف ، دعوة على صفحات الجرائد المصرية سأل فيها سراة المصريين وأفاضلهم التعاون على انشاء مدرسة جامعة . وختم دعوته بقوله « انني اكتتب لهذا العمل الخطير بمبلغ ٥٠٠ جنيه »

ثم حضر الى العاصمة وخاطب بعض الافاضل وذوي الرأي في المسئلة فلقي منهم كل رعاية وانعطاف . وكان في طليعة منشطيه سعادة سعد باشا زغلول — وكان يومذاك مستشاراً في محكمة الاستئناف — فدعا الى منزله في حي المنيرة الراغبين في اتمام أمنية الغمراوي بك فاجتمعوا لأول مرة في الاسبوع الاول من شهر اكتوبر سنة ١٩٠٦

وكان أول عمل فكروا فيهِ هو ابعاد المشتغلين بالصحافة عن المشروع وانتخبوا سعادة سعد باشا زغلول وكيلاً للرئيس — الذي يكونون قد اتفقوا عليه فيما بعد — وقاسم بك امين سكرتيراً ، وأصدروا أول منشور باسم الجامعة جاء فيـهِ : « ان المقصود هو انشاء مدرسة علوم وآداب لـكل طالب مهما كان جنسه ودينه بدون مداخلة في السياسة . ويقتصر فيها على إلقاء دروس أدبية وعلمية وفلسفية تنوّر عقول الطالبين وتربي ملكاتهم وتهذب عواطفهم وتبلغ بهم الـكمال في أنواع ما يتلقونه بها من العلوم »

* * *

مضى على هذه الجلسة شهران ولا شاغل للاقلام الاَّ الجامعة وتنشيطها ؛ ونهض لمعاكستهم نفر قالوا انه لا يجب الاقدام على العمل ولا التشجيع عليهِ الاَّ اذا صبغت الجامعة بالصبغة الدينية . ولكن هذا الرأي لم يصادف هوى من قلوب المشتغلين بالمسئلة

ثم عقدت الجلسة الثانية وأعلن فيها سعادة سعد باشا زغلول تخليه عن المشاركة العملية في لجنة الجامعة لتعيينه ناظراً للمعارف العمومية وا كد انه لا يفتر عن تعضيد المشروع . وألقى المرحوم قاسم بك امين خطبة ضمنها خلاصة ما تم للمشروع في شهرين وهو :

اولاً — اهتم كثيراً في البحث عمن يرأس اللجنة من الأمراء فلم يفلح ولذلك وقفت حركة الا كتتاب

ثانياً — خاطب احد امراء البيت الخديوي في ان يكون رئيساً للجامعة فلم يقبل ولم يرفض

ثالثاً — طلب مساعدة الحكومة فلم تقبل لأنها تعتقد ان مشروعاً كبيراً كمشروع الجامعة لم يأتِ الوقت المناسب لأن تقوم بهِ الأمة

رابعاً — ان سمو الخديوي أظهر ارتياحاً الى المشروع والقائمين بهِ

وانتخب قاسم بك امين رئيساً . وانتدب حضرة محمد بك فريد لأعمال السكرتارية . ثم عهد فيها الى حفني بك ناصف فعبد العزيز بك فهمي . وسارت اللجنة في أعمالها بهمة ونشاط ولم يعترها كلال ولا ملال مع وفرة ما صادفته من العقبات وتثبيط العزائم ، فاكتتب له الكثيرون — وفي مقدمتهم سمو الخديوي — بمبالغ طائلة من المال . ووقف له بعضهم مساحات واسعة من الاراضي . وكان في مقدمة الواقفين المرحوم حسن باشا زايد احد اعيان مديرية المنوفية حيث وقف لها مئة فدان ، ثم عوض بك عريان المهدي من اعيان بني سويف وقد وقف لها ٨٣ فداناً . ويقدر ثمن أطيان الجامعة كلها بمبلغ ١٧٠ ألف جنيه وبلغ ريعها في السنة الماضية ٨٦١ جنيهاً و٦١٥ مليماً

وقبل صاحب الدولة البرنس أحمد فؤاد باشا ان يكون رئيساً للجامعة . وكان أول عمل أتاه ارسال عشرة من الشبان المصريين الحاصلين على الشهادة الثانوية وبعض ديبلومات المدارس العالية الى اوربا لدرس العلوم العالية حتى اذا أتموا دروسهم عادوا الى مصر للتدريس في الجامعة المصرية

وفي اول مايو سنة ١٩٠٨ سمي سعادة احمد باشا زكي مدرّساً لتاريخ التمدن الاسلامي واحمد بك كمال لتدريس تاريخ الشرق القديم . وتقرر ان

يلقي اساتذة ثلاثة : فرنساوي وانكليزي وايطالي محاضرات في آداب لغاتهم ثم تترجم الى العربية بعد القائها .

واستؤجر معمل سجاير المسيو جناكليس بائع الدخان اليوناني الشهير ، في قصر النيل للجامعة فمحي اسمه من على واجهتها المبنية على الطراز العربي الأنيق ، وأبدل باسم الجامعة المصرية وتاريخ انشائها مكتوباً باللغتين العربية والفرنسوية . وفتحت أبوابها لالقاء المحاضرات في اول اكتوبر سنة ١٩٠٨ ثم أُعلن افتتاحها رسمياً بعد ذلك بشهر واحد تحت رئاسة سمو الخديوي المعظم

***

وانعقدت الجمعية العمومية للجامعة يوم ٢٩ ابريل الماضي وقدَّم مجلس الادارة تقريراً للأعضاء عن حالة الجامعة جاء فيه انهُ «لم يمضِ سوى أربع سنوات منذ حظيت الجامعة برعاية سمو الأمير مولانا الخديوي المعظم (عباس حلمي الثاني) وهي فترة لا تعد شيئاً في عمر الجامعات اذ لو راجعنا تاريخها وما لزم لتكوينها من الوقت الطويل لوجدنا ان الجامعة المصرية خطت خطوات واسعة في هذا الزمن القصير »

ولا جدال في ان القائمين بأمر الجامعة وفي مقدمتهم دولة الرئيس لم يفتروا ساعة واحدة عن ترقية هذا المعهد الكبير . وفي خلال السنوات الأربع الماضية كان دولة الرئيس يقضي فصل الشتاء في مشاركة الاعضاء في الإشراف على جميع أعمال الادارة ، فاذا حل الصيف يمضي معظم أوقاتهِ وهو بعواصم اوربا في مفاوضة بعض العلماء في الحضور الى مصر

للتدريس في الجامعة ، ويخاطب وزراء المعارف ورؤساء الجامعات بفرنسا وانكلترا والمانيا وايطاليا في مساعدة تلاميذ الجامعة المصرية باوربا على تلقّي العلوم في المعاهد العلمية الكبرى ، ويحث هؤلاء التلاميذ على الجدّ والاجتهاد في التحصيل حتى يشرّفوا أمتهم بعلمهم

ولكن هذه المجهودات لم تثمر الثمرة المنتظرة منها فان « المتأخّر من الاكتتابات لم يُدفع منه شيء للجامعة » . ولم يكتتب لها أحد بشيء في السنة الماضية ، وامتنع احمد بك الشريف عن ان يدفع للجامعة دخل المئة الفدان التي حبسها عليها « فاضطر مجلس الادارة الى النظر في أمر مقاضاته »

ورأت الادارة ان الإقبال قليل على حضور محاضرات التاريخ القديم والاقتصاد الزراعي فألغتهما . وكذلك ألغت الفرع النسائي « ريثما توفّق لوضع برنامج الخطة التي تتبعها فيه بحيث يكون موافقاً لحاجات السيدات المصريات » وكان عدد اللائي يحضرن هذه الدروس ٤١ سيدة

واصبحت العلوم التى تلقى في الجامعة قاصرة على الاداب وتاريخها والفلسفة وتقويم البلدان والتاريخ الاسلامي . ويدرّس آداب اللغة العربية الاستاذ الشيخ محمد الخضري . ويدرس آداب تاريخ هـذه اللغة المسيو جاستون فيت . ويدرّس تاريخ الأمم الاسلامية الاستاذ الشيخ محمد الخضري . ويدرّس علم تقويم البلدان ووصف الشعوب الاستاذ اسماعيل بك رأفت. ويدرّس الفلسفة العربية وعلم الأخلاق الاستاذ الشيخ طنطاوي جوهري . ويدرّس تاريخ المذاهب الفلسفيـة الاستاذ لويز ماسنيون .

ويدرّس تاريخ آداب اللغـة الانـكليزية الاستاذ المستر برسي وايت .

ويدرّس تاريخ آداب اللغة الفرنسوية الاستاذ المسيو لويس كلمان

وقد عني اثنان من طلبة الجامعة منذ أربع سنوات بجمع المحاضرات وطبعها في مجلة خاصة . ولكنهما لم يجدا شيئاً من الاقبال عليها فعطلاها . أخذ مجلس الادارة على عاتقه طبع هذه المحاضرات في كتب مستقلة فبلغ ما أنفقهُ على طبعها في السنة الماضية ٢٣٦ جنيهاً و ٩٦١ مليماً

وكان عدد الطلبة الذين قيدوا أسماءهم في السنـة الاولى نحو ٣٠٠ طالب منهم عدد كبير من طلبة المدارس العالية والازهر ، ثم أخذ عددهم يتناقص شيئاً فشيئاً ، فكان في السنـة الماضية ١٢٣ طالباً ، وفي هذه السنة ٧٥ طالباً فقط

وتدل الانباء الواردة من اوربا عن حالة ارسالية الجامعة ان أعضاءها « قد برهنوا بما أبدوه من مثابرتهم وجدّهم في تحصيل المعارف على انهم أهل لأن تعتمد عليهم الجامعة في خدمتها خدمة خالصة »

وعهد مجلس الادارة الى سكرتير الجامعة في ترتيب المـكتبـة على النسق المتبع في مكاتب اوربا العمومية ، وينتظر اتمام هذا الترتيب بعـد سنة ، ثم تُفتح أبواب المـكتبة للجمهور

٭٭٭

وفي جلسة الجمعية العموميـة الأخيرة طلب دولة الامير فؤاد باشا اقالته من رئاسة الجامعة . فقبلهـا الاعضاء آسفين وقرروا اسناد رئاسة الشرف اليه ، ودوّنوا هذا القرار في خطاب حمله اليه وفد مؤلف من أصحاب

السعادة حسين رشدي باشا واحمد شفيق باشا وعبد الخالق ثروت باشا .
ثم قرروا باتفاق الآراء ان يعهدوا في الرئاسة الى البرنس يوسف كمال باشا
والرئيس الجديد خير خلف لخير سلف . فهو منشئ مدرسة الفنون
الجميلة ، وصاحبِ الايادي البيضاء على الجامعة ونادي المدارس العاليـة .
فقد وهب الجامعة ٠ئة فدان ، وأعطى النادي قطعة أرض مساحتها ١٢٠٠
متر في الجيزة ، وتبرع بمبلغ ألفي جنيه لبناء دار للنادي في هذه الأرض ،
وتعهد بانشاء مكتبة للنادي عهد في ترتيبها لحضرة حيدر بك فاضل
شناسي . وقد اعلن خبر هذه المنحة السنيـة سعادة احمد باشا زكي على
ملاٍ من الادباء والافاضل في جلسة عقدت بنزل الكونتيننتـال ، وختم
خطبته بقوله ان الامير يوسف كمال أصبح بعطيته خليقاً بان يلقب
« بحامي المعارف والآداب ، ونصير الأساتذة والطلاّب »

ولا تزال الحكومة ثابتة على رأيها الذي أبدته منذ سبع سنوات ،
وصرّح بهِ فخامة اللورد كرومر في أحد تقاريره وهو انه « لم يحن الوقت
الذي يكون فيهِ للمصريين مدرسة جامعة » وقد تناقلت الألسنة اشاعة
فحواها ان فخامة اللورد كتشنر خاطب دولة البرنس فؤاد في ضم الجامعة
الى الحكومة او جعلها تحت اشراف نظارة المعارف . فلم يوافقهُ الامير على
هذا الطلب . ولكن الكثيرين يؤكدون انه لا بد من ضم هـذا المعهد
العلمي الكبير الى الحكومة آجلاً او عاجلاً ، فيصبح الى جانب مدارس
الطب والحقوق والهندسة والزراعة مدرسة للعلوم الادبية يتخرّج منها
ادباء بديبلومات ! !　　　　توفيق حبيب

في رياض الشعر

﴿ بين شاعرين ﴾

في الشهر الماضي انتخب اهالي دير القمر حضرة الفاضل داود بك عمون مندوباً عنهم في مجلس ادارة جبل لبنان ، وقد برح مصر لهذا الغرض ، فاذكرتنا هذه المناسبة مراسلة شعرية كانت قد جرت بينه وبين صديقه حافظ بك ابرهيم في سنة ١٩٠٢ ، وكان داود بك مصطافاً في لبنان ، فرأينا ان ننشرها لقراء الزهور وهي من خير ما قاله شعراء العصر

كتب حافظ الى عمون :

شَجَتنـا مطالعُ أقمارِهـا   فسالت نفوسٌ لتذكارِهـا
وبتنا نحنُّ لتلك القصورِ   وأهلِ القصورِ وزوَّارِهـا
قصورٌ كأنَّ بروجَ السماءِ   خدورُ الغواني بأدوارِهـا
ذكرنا حماها وبين الضلوعِ   قلوبٌ تلظَّى على نارِهـا
فمرَّت بأرواحِنـا هِزَّةٌ   هيَ الكهرباءُ بتيَّـارِها
وأرضٍ كستها كرامُ الشهورِ   حرائرَ من نسج آذارِهـا
اذا نقّطتها أكفُّ الغمامِ   أرتكَ الدراريَ بأزهارِهـا
وان طالعتها ذُكاءُ الصباحِ   أرتكَ اللّجينَ بأنهارِهـا
وان دبَّ فيها نسيمُ الأصيلِ   أتاكَ النسيمُ بأخبارِهـا

☆☆☆

وخلٍّ أقامَ بأرضِ الشآمِ   فبـاتت تدلُّ على جارِها
وأضحت تتيهُ بربِّ القريضِ   كتيهِ البوادي بأشعارِهـا
وللنيلُ أولى بذاك الدلالِ   ومصر أحقُّ بيشّارِهـا
فشمِّرْ وعجّل اليهـا المآبَ   وخلِّ الشآمَ لأقدارِهـا

فكيف لعمري أطقتَ المقامَ بأرضٍ تضيق بأحرارها
وأنتَ المشمّرُ إثرَ المظا لم تسعى الى محوِ آثارِها
ثأرتَ الليالي وأقعدتها بمصقولِ عزمِك عن ثارها
اذا ثُرتَ ماجت هضاب الشآم وباتت ترامى بثوّارها
ألـتَ فتاها ومختارَها وشبلَ فتاها ومختارِها
اذا قلتَ أصغت ملوكُ الكلام ومالت اليكَ بأبصارِها
أداودُ حسبك أن المعاليَ تحسبُ دارك في دارها
وأنَّ ضمائرَ هذا الوجود تبوحُ اليك بأسرارها
وأنك إمّا حللت الشآمَ رأيناك جذوةَ أفكارِها
وان كنتَ في مصر نعم النصير اذا ما أهابت بأنصارها

حافظ ابراهيم

فكتب اليه عمّون :

أمِنْ ذكرِ سلمى وتذكارِها نثرتَ الدموعَ على دارِها
وعفتَ القصورَ لأجل الطلولِ تطالعُ طامسَ آثارِها
وقفتُ بها ليلتي ناشداً عساها تبوحُ بأسرارِها
وللدارُ أنطقُ آياتها من الراويات وأخبارِها
تعيدُ عليكَ ليالي الحمى بأنجمها وبأقمارِها
سلامٌ عليكَ زمانَ الشبابِ ربيعَ الحياةِ بآذارِها
لأنتَ مخففُ أحزانها وأنتَ مسوّغُ اكدارِها
ولولا الشبابُ وذكرى الشبابِ لعاشَ الفتى عمرَهُ كارِها
قطفنا الحياةَ به حلوةً وقد جاء إبّانُ إمرارِها

٭٭٭

أطوّفُ في الشرقِ علّي أرى بلاداً تطيبُ لأحرارِها

فلم أرَ الاّ أموراً تسوء وتصدَعُ أكبادَ نظّارِها

فظلمٌ بتلك وذُلٌ بهذي وجهلٌ مُغشٍ لأبصارِها

تعقُّ مراحمَ رُعيانها وترعى الولاء لجزّارِها

اذا شاء « قاسمُ » رفعَ الحجابِ تسمّيهِ هاتِكَ أستارِها

فلا قولَ الاّ لجهّالها ولا رأيَ الاّ لأغرارِها

يدبُّ التراخي على تربها ويجري الخمولُ بأنهارِها

منالُ الترقّي بإِرغامها ومَرجى الفلاحِ بإِجبارِها

أهذا الذي أورثتْ أهلَها بلادُ العلومِ وأنوارِها

٭٭٭

عدمتُ حياتي اذا لم أقِفْ حياتي على نفعِ أقطارِها

« أحافظُ » هذا مجالُ العُلى فشمّرْ لسبقٍ بمضمارِها

« أشوقي أحافظُ » طالَ السكوتُ وتركُ الأمورِ لأقدارِها

فصوغا القوافيَ مصقولةً وشقّا الجلودَ بتيّارِها

عساها تحرّكُ اوطاننا وتنشرُ ميّتَ أفكارِها

اقولُ واعلمُ أني سأُرمى بأني محرّكُ ثوّارِها

وأني الدخيلُ وأني الغريبُ وأني النصيرُ لقُبّارِها

أحبُّ بلادي على رُغمها وإنْ لم ينلْني سوى عارِها

ولست باوّلِ ذي همّةٍ تصدّى الزمانُ لإنكارِها

داؤد عمونه

﴿ الأنفة في الحب ﴾

من جيد الشعر وأطيبه القصيدة التي ننشرها هنا وقد رأيناها في بعض الجرائد على اشكال مختلفة : فالبعض اغفل اسم شاعرها جهلاً به ، والبعض اقتضب ابياتاً منها ، وغيره أبدل او حذف في ألفاظها . وهي لأبي عبدالله محمد بن يوسف بن محمد بن قائد الملقب بموفق الدين ، الاربلي اصلاً ومنشأ ، البحراني مولداً ، المتوفى في سنة ٥٨٥ للهجرة وقد مدح بها بعض الامراء فاقتصرنا منها على النسيب لرقته . قال :

رُبَّ دارٍ بالغضى طالَ بلاها　　　عكفَ الرَّكبُ عليها فبكاها

درَستْ الاَّ بقايا أسطرٍ　　　سمح الدَّهرُ بها ثمَّ محاها

كان لي فيها زمانٌ وانقضى　　　فسقى اللهُ زماني وسقاها

وقفتْ فيها الغوادي وقفةً　　　ألصقتْ حرَّ حياها بثراها

وبكتْ اطلالها نائبةً　　　عن جفوني أحسنَ اللهُ جزاها

قلْ لجيرانٍ مواثيقهمُ　　　كلَّما أحكمتُها رثَّت قواها

كنتُ مشغوفاً بكم إذْ كنتمُ　　　شجراً لا تبلغُ الطيرُ ذُراها

لا تبيتُ الليلَ الاَّ حولها　　　حرسٌ ترشحُ بالموتِ ظباها

وإذا مُدَّتْ الى أغصانها　　　كفُّ جانٍ قُطعتْ دون جَناها

فتراخى الأمرُ حتى أصبحتْ　　　هملاً يطمعُ فيها مَن يَراها

تُخصبُ الأرضُ فلا أطرقُها　　　رائداً الاَّ إذا عزَّ حِماها

لا يَراني اللهُ أرعى روضةً　　　سهلةَ الأكنافِ مَن شاء رعاها

واذا ما طمعٌ أغرى بكم　　　عرَضَ اليأسُ لنفسي فثناها

فصباباتُ الهوى اولُها　　　طمعُ النفسِ وهذا مُنتهاها

لا تظنُّوا لي اليكم رجعةً　　　كشفَ التجريبُ عن عيني عماها

٭٭٭

ان زين الدين اولاني يداً　　　لم تدع لي رغبةً فيما سواها

﴿ ذكرى الشباب ﴾

نُمسي تذكّرنا الشبابَ وعهدَهُ حسناء مرهفةُ القوام فنذكرُ
هيفاء أسكرَها الجمالُ وبعضُ ما أوفى على قدرِ الكفايةِ يُسكرُ
تَثِبُ القلوبُ الى الرؤوس اذا بدت وتُطلُّ من حدَقِ العيون وتنظرُ
وتبيتُ تكفرُ بالنحور قلائدٌ فاذا دنت من نحرها تستغفرُ
ويزيدُ في فمِها اللآلئُ قيمةً حتى يسودَ كبيرَهنَّ الأصغرُ

اسماعيل صبري

﴿ سكر الصبابة ﴾

أبتِ الصَّبابةُ مورداً الاّ شؤونك وهي شكرى
يا ساقيَ الدمعِ الذي من مقلتيهِ يسيلُ خمرا
لا غروَ ان بدت الصبا بة وهي في عينيكَ سكرى

خليل مطران

﴿ دمعة على الشباب ﴾

ضحكاتُ الشيبِ في الشَعَرِ لم تدع في العيش من وطرِ
هنَّ رسلُ الموتِ سانحةً قبلهُ والموت في الأثرِ
يا بياضَ الشيبِ ما صنعت يدُك العسراء في الطررِ
انت ليلُ الحادثات وإن كنتَ نورَ الصبح في النظرِ
ليت سوداء الشبابِ مضت بسوادِ القلبِ والبصرِ
فالصبى كلُّ الحياة، فان مرَّ، مرَّت غبطةُ العمرِ

مصطفى لطفي المنفلوطي

مجدلية اخرى

لم تكن أوّلَ من اسآءَ اليها الرجلُ فانَّ أمثالها كثيراتٌ ممن دفعهنَّ الجهلُ الى ارتكاب ما ارتكبنهُ ، والقاء تحيةَ الوداع على الفضيلة والعفاف . أليست أزقّتنا مزدحمة بأقدام هولاء البائسات ؟ أليست المدن الكبرى قائمة على أطلال بابل ، والرذيلة تمثّلُ أفظعَ أدوارها في زواياها المظلمة ؟ أَليس السين والتاميز وارثين لماء التيبر الذي شربته رومية الفاجرة ، وماء الفرات الذي ارتوت بهِ نينوى الزانية ؟ أليست شوارعنا مسارح لتمثيل تلك الأدوار التي تقشعرُّ لها الأبدانِ ، وتململ لها العظام التي في القبور ؟ أهذهِ مدنيتُك أيها العالم ، وهذهِ فضيلتك أيها الانسان ؟ مستبدٌّ أنت ؟

ان كنت ملكاً فكن عادلاً ؛ وان كنت بشراً فكن عاطفاً ؛ وان كنت غنياً فانفق ثروتك في غيرِ الزوايا المظلمة . لماذا تحفر هاويةً لسقوط المرأة ؟ كفى ما أوصلتها اليهِ من البؤس والشقاء

***

تائهة في باريس !

في تلك المدينـة العظيمة ؛ في ذلك الاوقيانوس المتلاطم ؛ وحيدة لا بيتَ لها فتأوي اليهِ ، ولا سقف فتبيت تحته . للطيور أوكار ، وللبهائم زرائب . واما هي فليس لها أين تسند رأسها

الرواية القديمة : باعت نفسها لرجل سامها في عرضها . أعطتهُ قلباً

مملوءًا اخلاصاً . فنقدَها ثمنهُ خزياً وعاراً . فتحت لهُ صدراً رحيباً ، فحفر لها مهواةً أرحب . تركت العالم من أجله فترك لها كل مذلة وهوان

رحماك ! الى أين تقذف بي أيها الانسان ؟

*
* *

اصرخي ما شئتِ أيتها البائسة ؛ أغضبتِ أبويكِ فطرداكِ ؛ أَغضبتِ العالم فنبذكِ ؛ أَغضبتِ اللهَ فأدار وجههُ عنكِ

أصرخي ما شئتِ . قولي لذلك الجالس على كرسي العدل ، الرابض على عرش الرحمة : « الهي الهي لماذا تركتني ؟ » أَلستِ مرفوعةً على صليب الهوان ، وتحت قدميكِ هاوية الأبدية اللاقرارَ لها

علامَ تلومين البشر ؟ هلاَّ بعتِ عفافكِ الاَّ للوحوش الضارية ؟ هلاَّ ساومتِ في عرضكِ الاَّ على قوارع الطرق ؟ ألم تعلمي ان الازهار التي يفترشها لكِ الانسان الوحش ، وأنتِ في ثوب العفاف ، تنقلب اشواكاً متى خلعتِ ذلك الثوب ؟ هوذا الأحلام التي كنتِ تعللين بها نفسكِ قد انقلبت الى خيالات مرعبة فهي تصوّر لكِ الآن ظلمات الأبدية وتمثّل لعينيكِ هاوية الشقاء اللاقرارَ لها

*
* *

الدير ؟ . . .

وهل تمادى بكِ الغرورُ حتى زعمتِ ان الدير مأوى الساقطات ؟ هل توهمّتِ ان السقف الذي يظلل بنات الله الطاهرات يظلل أمثالكِ من الفتيات اللواتي لسنَ عذارى ولا أُمهات ؟

أيكون الدير مأوًى لراحاب وهيروdياد ومرغريت وفرناند ؟

الدير ؟ . . .

هل يكون الدير ملجأً للواتي كسرنَ وصية الله القائل لا تزنِ ؟

هل يكون الدير مأوى لمن هجرنَ العفاف واسأنَ الى المجتمع العمراني وآثرن منعطفات الطرق على الهياكل والمعابد ؟

هل الدير ملجأ لكل امرأةٍ يطاردها العالم لينزل بها العقاب على ما أتتهُ من الشرور والمآثم ؟

* * *

أجل ! ان لم يكن الدير ذلك فيجب ان يكون كذلك ؛ يجب ان يكون أوّل محطة على الطريق الى السماء

* * *

تائهة في باريس ! . . .

بيت أبيها موصدٌ في وجهها ؛ وباب الدير موصد في وجهها ؛ وباب السماء موصد في وجهها ! فالى أين تأوي ؟

هنيئاً لكِ يا خالعة ثوب العفاف . ألم تتنعمي بالسعادة التي كنتِ تحلمين بها ؟ فماذا تطلبين بعد ؟

مبيتاً ؟ . . .

هوذا قوارع السبل !

هوذا مهاويْ الشقاء !

هوذا القبر !

ووراء ذلك القبر وحشة الأبدية اللانهاية لهـا ، وحجاب الظلمة يكتنف النفس فيزيد في عذابها ، وكلّ لحظة قرون واحقاب مملة

***

رحماك اللهم ! ان عرشك ليس عرشَ العدل فقط بل عرش الرحمة ايضاً . فانظر اليَّ من فوق عرشك هذا دون عرشك ذاك . واذكر انك جبلت المرأة على الضعف ، وقذفت بها بين براثن الرجل المستبد

رحماك اللهمّ ! انك تؤدّب ولكنك انزه من أن تنتقم . فقاصص ولكن اجعل مع القصاص متَّسعاً من الرحمة . عاقب ، ولكن اجعل مع الشدة منفذاً . انك ارحم من أن تبخل على شقية مثلي بنظرة شفقة واحسان

الى أين اذهب يا الله ؟ ألم تجعل للطيور اعشاشاً ، وللثعالب أوكاراً ، وللبهائم زرائب ؟ فأين أسند رأسي في هذا الليل الحالك — في هذه المدينة المظلمة — في هذا الاوقيانوس المتلاطم ؟ الم تعفُ عن راحاب وتغفر للمجدلية ؟ ألم تقل لتلك البائسة التي شكوها اليك : « ولا أنا ادينكِ . اذهبي ولا تخطئي بعد ؟ » ألم تقل ان الأعلاّء هم الذين يحتاجون الى طبيب ؟

يا لك من عصرٍ شديد النحسِ ضاعت بهِ الرحمة تحتَ الشمسِ
لم تلقَ مأوىً فيهِ غيرَ الرمسِ وغيرُهـا ممتَّعٌ بالأنسِ
في عالمٍ أحلامُـهُ غرورٌ

سليم عبد الاحد

أسباب الحرب البلقانية

من الكتب الماثلة للطبع في الآونة الحاضرة كتاب « الحرب في البلقان » لحضرة الكاتب البليغ يوسف افندي البستاني وهو جامع لجميع أسباب الحرب وحوادثها ونتائجها ، ولنحو اربعين رسماً من رسوم رجالها ، ولأهم آراء الكتاب الحربيين والمؤلفين في هذا الموضوع . وقد اقتطفنا من كلامه عن أسباب الحرب الفصل التالي . قال :

من رام أن يقف على حقيقة تلك الحرب الهائلة ويدرك أثرها العظيم في الشرق والغرب يلزمه أن يعرف أسبابها وحوادثها ونتائجها . وانّا بادئون بذكر تلك الأسباب واحداً فواحداً مع الايجاز ، ومعتمدون على نخبة من أقطاب السياسة وصفوة المؤرخين والباحثين في المسألة الشرقية . فان الحرب البلقانية ليست الاّ مشهداً كبيراً فاجعاً من رواية تلك المسألة التي تعددت فيها الفصول وأدمت مشاهدها العيون

يخلق بنا أن نحسب رأس الأسباب ما انطوت عليه الضلوع ، وغلت به الصدور من الحقد القديم والضغينة الكامنة بين الأتراك والامم الاربع المتحالفة فان كل أمّة منها جعلت تربيةَ الحقد في صدور أبنائها على دولة آل عثمان فرضاً مقدّساً وآيةً من آيات الوطنية . فاذا ورد ذكر التركي على أحد أساتذتها جعلهُ عنواناً للظلم ، ومثالاً للقسوة ، وعدواً ابدياً يجب على كل فرد أن يرضع بغضه مع حليب أمهِ

أنظر الى اليونان تجد الاساتذة والوالدين والوالدات وكلّ عجوز بالية يردّدون ذكرَ مجدهم القديم ، ويعدّون التركي مغتصباً لأرضهم هدّاماً لدولتهم ، هضّاماً لحقوقهم ، ويمزجون ما يحويهِ تاريخهم من الحقائق الجارحة بخرافات وحكايات نظمها لهم أساتذتهم وشعراؤهم ليربّوا فيهم كراهة التركي ، ويحملوهم على التفكير المستمرّ في استرجاع ما وقع في قبضته من ملكهم القديم ، ويجعلوا طلب الثأر نصب

أعينهم الى أن يأتي وقته . ثم تراهم يهتمون اهتماماً خاصاً بأخبار أبطالهم والمنظومات الحماسية لشعرائهم القدماء وفي طليعتهم هوميروس صاحب الالياذة الخالدة ، ويرددون على الاخص ، من الحوادث الغابرة ، قصة يسمونها «حكاية علي باشا في يانيا» فيعزون اليهِ من الفظائع والاهوال ما يشيب الطفل في مهده ، ويزعج الميت في لحده . وهم يجعلون فيها القطرة بحراً والصفر سفراً ويرتبونها كما يشاء الخيال ، اذ لا يهمهم منها الا أن تجيء في شكل يُبكي النساء والاطفال ، ويُثير قلوب الرجال . قال كاتب فرنساوي كبير « يمكننا ان نقول ولا نخشى الخطأ انَّ حكاية يانيا حضَّت الامة اليونانية على الجهد الذي بذلتهُ في الحرب الاخيرة حضًّا كبيراً وأثرت فيها تأثيراً شديداً . فانك تجد كل قرية وكل دسكرة في الجزر اليونانية تأخذها الرعدة من تذكار يانيا . وترى النساء ينقلنَ تلك الحكاية الى اولادهنَّ ويذكرنَ ما أتته بعض اليونانيات من الأعمال في مجال القتال . وما من أثر أبقى فى النفوس وأقوى في القلوب من حكايات وطنية تعيدها الأم وهي جاثية أمام سرير ولدها »

واضفْ الى حوادث التاريخ القديم والمتوسط حادث الفشل الكبير الذي حلَّ بهم في حرب سنة ١٨٩٧ . فانهم لبثوا بعدها يتطلعون الى الثأر واستقدموا جماعةً من الضباط الفرنساويين فنظَّموا لهم جيشهم ، وجددوا مدافعهم . وكان يزيدهم حقداً على حقد أنَّ الحكومة العثمانية ظلَّت واقفة لدى الحكومة اليونانية ويدُها على مقبض السيف لتوقع الرُعب في قلبها وتمنعها من ضمّ جزيرة كريت الى أملاكها . وكانت جرائد الاستانة تنذر اليونان في كل يوم بالزحف على اثينا اذا قبلوا المندوبين الكريتيين في البرلمان اليوناني كما طلب اهل تلك الجزيرة

* * *

واذا رجعنا الى تاريخ البلغاريين وجدنا أنَّ الحقدَ ينمو في قلوبهم منذ سنة ١٣٩٣ أي السنة التى سقطت فيها الدولة البلغارية في قبضة تركيا . واذا اراد

القارئ أن يعرف مبلغ بغضهم للتركي – وكلّ موظفٍ عثماني هو تركي عندهم – فحسبهُ ان يقرأ شيئاً مما يلقونهُ على أولادهم أو يسمع ما يقوله الشيوخ والعجائز منهم. ذكر لي صديقي حقي بك العظم انهُ زار صوفيا، عاصمة البلغار، منذ بضعة أعوام، وذهب يوماً مع نسيبٍ له كان معتمداً عثمانياً سامياً في مركبة الوكالة العثمانيـة الى بعض أحياء المدينة؛ وبينما كانا مارّين أمام بيت احدى العجائز، خرجت هذه وبيدها قدرٌ من الأقذار المختلفة وقذفت بهِ على طربوشيهما وملابسهما العثمانية

وليس يدلنا على اعتنائهم الشديد بتربية الحقد على الأتراك وزيادة النفور منهم مثل أمر مأثور. وهو أنهم تركوا محلةً صغيرة في عاصمتهم على أسوإ حال لتكون عبرةً لكلّ بلغاري فيتذكر على الدوام ما كانت عليهِ بلادهم في عهد الحكم التركي. والواقع ان تاريخ البلغار (منذ سقوط دولتهم سنة ١٣٩٣ الى سنة ١٨٧٧) كان تاريخ ذُلٍّ وهوانٍ فانهم كانوا أرقّاء تلعب الاكفُّ التركية في رقابهم، واذا شكوا حكمت السيوف في هاماتهم. ولبثوا سنواتٍ عديدة على أثر سقوط ملكهم يحسبون الأتراك من محتدٍ أشرف من محتدهم حتى صحَّت فيهم حكمة القـائل «ان الاستعباد يُفقدَ الشعوبَ نصف فضيلة الرجولية»

على انهم كانوا مثل كل شعب مغلوبٍ على أمره وله تاريخ قديم، يذكرون استقلالهم الذي تغلغل في طيات الزمان ويحنّون اليهِ وهم في زوايا بيوتهم، ويشكون بصوتٍ خافتٍ من حكامهم. ولبثوا على تلك الحال من الجبن والمسكنة حتى سنحت الفرصة لانفجار حقدهم الكامل قُبيلَ معـاهدة برلين. وكانت عوامل ايقاظهم ثلاثة: أولهـا انّ ولاة أمورهم غلوا أشدَّ غلوٍّ في الضغط عليهم فكانت نتيجة هذا الضغط انفجار ذاك الحقد؛ والثاني أن روسيا العدوّة القديمة لتركيا كانت تحضهم وتعدهم بالعون والمدد؛ والثالث ان تحريرهم من قيد الكنيسة اليونانية أنشأ فيهم روح الاستقلال:

بقيت تلك العوامل الثلاثة تعدّ نفوسهم للثورة وتزيد حقدهم المتأجج حتى هبوا ينفضون عنهم غبار الذُلّ العتيق . ولما ثارت البوسنه والهرسك سنة ١٨٧٥ رأى ذوو الإقدام منهم أنّ الفرصة كانت موافقة للثورة وشفاء النفوس من الضغينة

على انهم لم يكتفوا بالخروج على الحكومة بل ارتكبوا جناية ذبح المسلمين في بعض القرى . ولم تكن ثورتهم وقتئذٍ عامةً لان قسماً كبيراً منهم كان لا يزال خائفاً من سادته الاتراك . وما ترامى خبر فتنتهم الى الباب العالي حتى عقد العزيمة على تأديبهم وكان التأديب واجباً . الاّ انهُ أخطأ الطريقة المثلى فاطلق عليهم ألوفاً من الجنود غير المنظمة بدلاً من أن يسير اليهم جنوداً نظامية تحت أمرة قائد عاقل يضع اللينَ في محلهِ والشدة في موضعها . وروى قنصلا فرنسا وانكلترا في تقاريرهما الرسمية « ان عدد الذين ذبحتهم تلك الجنود من رجال ونساء وأطفال يبلغ ما بين ١٥ و٢٠ الف نفس »

فكان لذلك الحادث صدى عظيم في أوروبا ، وهبّ غلادستون فالقى خطبةُ الشهيرة عن تركيا والأتراك ونسي الاوربيين ان البلغاريين فتكوا هم أيضاً بالمسلمين الآمنين . ولا غرو فان الحادث الاكبر ينسي الحادث الاصغر ؛ وهناك سبب آخر وهو ان شعور كل فئة بنكبات أهل دينها أشد من شعورها بارزاء الآخرين ، وهذا طبيعي تجده عند جميع الامم والملل ولا يتغير ما دام الانسان انساناً . وقليل هم لسوء طالع الانسانية أولئك الذين يضعون الحق فوق كل شيء

على ان هذا كلهُ بعضُ ما جرى بين العدوّين وهو يكفي للدلالة على ان الجيش البلغاري لم يزحف وحدهُ من صوفيا بل زحف هو وحِقدُ خمسماية سنة !..

☆ ☆ ☆

وليس حقدُ الصربيين وأهل الجبل الاسود على الاتراك باخفّ من حقد اليونانيين والبلغاريين . فانهم مثل حلفائهم يربّون في ابنائهم محبة الثأر من تركيا ،

ولا ينسون انتصار الاتراك عليهم وفتكهم الذريع بهم . ذكر الموسيو « البير مالي » الأستاذ الكبير في التاريخ السياسي ان المؤرخ الصربي « ليو با كوانشفيتش » وقف يرثي ابنه الذي قتل في احدى معارك الحرب البلقانية فقال :

(يا بنيَّ نم بسلام فقد اوفيتَ دينك للوطن . وقل لدوشان ولازار بل قل لجميع شهداء قوصوه ان أمتهم ثأرت لقوصوه ...) . ولقد دلت الحرب على ان الثأر الذي اشار اليه هذا المؤرخ الصربي هو امنية كل فرد من امته ، وانَّ الحقد على الأتراك شامل لطبقاتها . قال ايضاً الموسيو « البير مالي » ان معارك قوصوه – التي حدثت من نحو ٥٠٠ سنة – ما زالت تذكر عندهم كما تذكر حوادث حرب السبعين عند الفرنساويين، وما برحوا يرددون تذكار القيصر دوشان والقيصر لازار حتى الآن

ثم روى الاستاذ نفسه دليلاً على احتفاظ الصربيين بما يُضرم الضغينة في قلوبهم على الأتراك قال : ان الفاً من الصربيين كانوا سنة ١٨٠٩ محصورين في احد المعاقل على مقربة من مدينة نيش ، فرأوا ان الأتراك أوشكوا ان يستولوا على موقعهم عنوةً ؛ فاختاروا أن ينسفوا معقلهم بما كان عندهم من البارود على ان يقعوا احياء في ايدي اعدائهم ؛ ثم جاء الاتراك بعد نسفه وفصلوا رؤوسهم عن الجثث وجعلوا منها شبه برج . ولما دخل الصربيون مدينة نيش سنة ١٨٧٨ كان ذاك البرج محفوظاً على شكله ؛ فرفعوا الجماجم ودفنوها في مقبرة وابقوا البرج ليراه الابناء والاحفاد ، ولقبوهُ ببرج الجماجم ، واصبح امره موضوع قصص العجائز والوالدات في البيوت والاساتذة في المدارس

وليس من غرض هذا الكتاب أن نفيض في شرح الوقائع التاريخية التي اشعلت نار ذاك الحقد . فانا نختم الكلام عن هذا السبب الاول من أسباب الحرب بما تضمنهُ قانون أصدرتهُ حكومة الجبل الاسود سنة ١٤٨٤ ليكون دليلاً آخر على

الحقد القديم في صدور أهل ذاك الجبل أيضاً وهو :

« اذا نشبت الحرب بيننا و بين الأتراك فلا يجوز لاحد من أهل الجبل ان يترك ساحة القتال الا بامر رئيسه . وكلّ من يفرّ أمام الترك يفقدْ شرفه الى الابد ويُصبح محتقراً منبوذاً من آلهِ ، ثمّ يُلبس ثوب امرأة ويُعطى مغزلاً ليشتغل بهِ مع النساء ، وتعمد النسوة أنفسهنّ الى طرده كما يطرد الجبان الذى يخون وطنه »

وهنا ندع القارئ يفكر في الحالة النفسية التي كان فيها أعداء تركيا يوم ساروا الى الحرب وهم يؤملون النصر

يوسف البستاني

سفراء الدول

يلعب السفراء في الآونة الحاضرة دوراً خطيراً في الحوادث التي تشغل الآن العالم قاطبة . وبهذه المناسبة ننشر للقراء المقالة الآتية التي كتبها خصيصاً « للزهور » حضرة الكاتب المجيد اسكندر افندي شاهين « صاحب الرأي العام » ورئيس تحرير « الوطن » . قال :

اذا كان لك على الزمان قضية وفي صدرك الكريم من أهل الزمان غلة لأنهم لم ينصفوك اولأن عامتهم نسبت فضلك الى سواك فاعلم ان لك في هذا الظلم شركاء يقومون بكبير الأعمال ويُمدح غيرهم من سراة الرجال . هم السفراء ينوبون عن ملوك الأرض وشعوبها وينجزون المهام العسيرة على مهلٍ ، ويحلّون المعضلات من وراء الحجاب فلا يدري الجمهور بما فعلوا ويزعم الأفراد ان الفضل في الحل لمعاشر الملوك والوزراء . ولطالما تغنّت الأقوام بمدح ملك وردّدت ذكر ذكائهِ الشديد ورأيهِ السديد مع ان الملك لم يكن الاّ عاملاً برأي سفيرهِ ، ولو ترك الأمر لهُ لبقيت الحالة كما كانت او ساءت وتغيّر تاريخ بني الانسان . وربما وقع الوزير في

خطإٍ يحمله على الخروج من منصبهِ وتحمُّل مرارة الذم وسخط المواطنين ، أو رأى الناس يكتبون التاريخ مقلوباً على عادتهم من قدم ، وينسبون اليهِ الغلط في السياسة والتدبير وهو مع ذلك بلا ذنب يوجب الملام غير انهُ وثق بأحد السفراء ، وعمل برأيهِ او تحمّل تبعة غلطهِ الكبير

فالسفير في هذه الممالك هو القوّة الكامنة وراء العرش وهو المحرّك خفيَ عن الأبصار يدير المسائل ، ويقضي في الأُمور بالنيابة عن الملوك والوزراء ولكن عامة الخلق لا تفطن الى وجودهِ في كثير من الأحوال ولا تنصفه حين توزّع مدائحها على جليل الأعمال . ما سمعت بسفير نال حقّه من ثناء الجمهور الأَ حين عُقد مؤتمر السفراء في لندن وعهدت الدول الى أعضائهِ الحاليين تسوية المشاكل والبتّ في معظم ما يتعلق بحرب البلقان ومستقبل الشرق القريب

قلت ان السفير نائب الملك او للدولة في البلاد التي ينتدب لانتيابها فهو اكبر من الوزير مقاماً يتقدَّمهُ في المحافل الرسمية وقد يتقدَّم بعضَ الأُمراءِ ايضاً فما يعلوهُ في موضع عمله غير ملك البلاد او الرئيس . وراتب الوزير على الجملة أقل من راتب السفير لأَن وزراء الغرب يقتضون حوالي خمسة آلاف جنيه في السنة وأما السفراء فرواتبهم من ستة آلاف الى عشرة في العام . وربما كان سفير الجمهورية الفرنسية في لندن أعظم الاقران راتباً لأنهُ ينال من مال بلادهِ ٢٦٠ ألف فرنك او اكثر من عشرة آلاف جنيه ؛ ولهُ في عاصمة الانكليز قصر منيف ومقام عظيم . ولا يقلّ السفراء في العواصم الكبرى مقاماً عمن ذكرت ، ولو ان الراتب

أقل ألفاً أو ألفين فان السفير واحد في الكرامة سواء كان في لندن أو في غيرها من العواصم التي يُعرف فيها وكلاء الدول العظمى باسم السفراء وهي باريز وبطرسبرج وبرلين وڤينا وروميه والاستانة وواشنطون وتوكيو وبكين . وأما الدول الثانية مثل اسبانيا والبلجيك وبقية هذه الممالك والجمهوريات فان مندوبي الدول فيها يعدّون وكلاء سياسيين ورواتبهم تختلف ما بين ألف جنيه في السنة وسبعة آلاف وهو راتب وكيل الدولة الانكليزية في مصر ومدريد وريودي جانيرو عاصمة جمهورية البرازيل . وليس يعدّ هذا الراتب كبيراً على السفير أو وكيل الدولة لأنهُ ينبغي لهُ ان يعيش عيشة الملوك وأن يحيي الليالي الراقصة ويولم الولائم ويكون في مقدمة أهل البذل والعطاء . وقد كان السفراء قبل هذه الأيام يأخذون معهم من بلادهم جيشاً جرَّاراً من العمَّال والصنَّاع والخدَمة والأطباء وسواهم حتى يكون كل ذي علاقة بقصر السفير من أهل بلادهِ وتعد سفارتهُ مملكة ثانية لملكهِ في عاصمة الدولة الأخرى ولكنهم قللوا من هذا الاسراف في الزمان الأخير .

وما زالت السفارة في كل بلاد تعدّ جزءاً من أرض المملكة التي جاء منها السفير : فسفارة الروس في باريز قطعة من أرض روسيا تسري فيها الاحكام الروسية ولا سلطة لفرنسا وقانونها على من دخل أرض هذه السفارة وقس على هذا ما جرى مجراه . يذكرني ذلك بما كان من أمر ملك الانكليز وامبراطور النمسا في احدى السنين الماضية فان الامبراطور كان قد وعد بزيارة الملك في لندن ثم رأى أنَّ الكبر أقعد همتهُ وصيَّر

السفر خطراً عليهِ فعدل عن تلك الزيارة ولما ذهب ملك الانكليز بعد ذلك الى ڤينا قام الامبراطور لاستقباله وذهب للسلام عليهِ في السفارة الانكليزية وتعشى فيها معهُ ليقال أنهُ زار قرينهُ في أرض انكليزية وهي سفارة انكلترا في عاصمة النمسا. ويذكر من هذا القبيل ايضاً أن رئيس جمهورية الولايات المتحدة لا يدخل سفارة أجنبية لان قانون الجمهورية يحظر عليهِ السياحة في الاقطار الخارجية مدة الرئاسة، والسفارة عندهم أرض أجنبية كما تقدم البيان. فمقام السفير مقام ملك ولهذا تراهم يهتمون غاية الاهتمام لانتقاء السفراء وقد يتنازل رئيس الوزارة عن كرسيه حتى يذهب سفيراً الى عاصمة من العواصم الكبيرة وتعرض الوزارة من حين الى حين على بعض السفراء فيأبونها. مثل المسيو وادنتون سفير فرنسا السابق في لندن كان رئيس الوزارة الفرنسية ومثل اللورد دفرن سفير انكلترا السابق في باريز عرضت عليهِ الوزارة مراراً فلم يقبلها. ولقد قال اللورد بامرستون يوماً وهو أحد وزراء الانكليز المشهورين انه ليس في كل عشرة ملايين رجل اكثر من واحد يصلح للسفارة. وقوله صحيح لما أن السفير يدير سياسة الدولة التي ترسله والدولة التي تقبله على السواء فهو في يده السلم والحرب اذا كان قليل الميل الى السلام كان اضرام الحرب على يده من أسهل الأمور

ولما كان هذا مقام السفير وهذا شأنه فهم قد خصُّوه بامتيازات شتى حتى جعلوه مساوياً لملك البلاد التي يقيم فيها واذا شاء السفير أن يخاطب القيصر أو الملك رأساً في كل أمر فلا سبيل الى ارجاعهِ عما يريد. ولكن

السفراء وهم دهاة الامم وجبابرة العقول يؤثرون الوصول الى غايتهم بطرق اللطف والمجاملة فلا يصرّون على حق لهم يولد الجفاء أو يدعو الى النفور. وقد بدأوا بأعطاء السفير حقوق الملك من نحو ١٨٥ سنة . وكان منشأ هذا الامتياز في لندن اذ حدث فيها ان بعض المتآمرين واصحاب الدسائس قبضوا على سفير روسيا في لندن وخطفوهُ من وسط المدينة ، وأودوا به لاسباب تتعلق بسياسته في داخلية روسيا . فكبر الأمر على حكومة الانكليز وأصدرت أمراً باعتبار سفراء الدول الكبيرة مثل ملك انكلترا في الامتيازات والحقوق حتى لا يبقى سبيل الى الاعتداء عليهم كما حدث لسفير الروس . واجتمع بعد ذلك مؤتمر للدول في باريز رأى أعضاؤه أن انكلترا أصابت في منح هذه الامتيازات للسفراء، فاجمعوا على تعميم هذا المبداء في جميع العواصم على السواء

وعلى هذا فان السفير مثل الملك فوق القانون يمكنهُ أن يأتي ما شاء من المنكرات ولا حرج عليهِ ولا سلطة تقوى على رده؛ فكل ما يمكن فعله في هذه الحالة أن الدولة ترجو دولة السفير المذكور اقالته أو نقله من بلادها . ولكن هذا لا يحدث من السفراء وهم رجال الأدب الباهر واللطف المشهور والعقول الكبرى في كل زمان . كذلك عمّال السفارات وأقاربهم يعدون من اصحاب الامتيازات لا سلطة للحكومة المحلية عليهم. فاذا اقترف احد كتّاب السفارة انما نجا من سلطة الحكومة المحلية بقوة هذا الامتياز وقد تجري محاكمته داخل السفارة حسب قانون بلاده الاصلية . ولكن هذا لا يحدث أيضاً الا فيما قلّ . واكثر السفراء يتنازلون عن حق

سفارتهم فيما لو حدث أمر يخالف قانون البلاد من أحد عمّالهم ويسلمون ذلك العامل للحكومة المحلية احتراماً لها ولقانونها . حدث مثل هذا من عهد غير بعيد في لندن اذ اعتدى روسي على احد الاهالي وصفعه على وجهه في قارعة الطريق فلما علم السفير الروسي بما جرى أمر عامله في الحال أن يذهب الى المخفر ويسلم نفسه للبوليس الأنكليزي أو يخرج من خدمة السفارة فآثر الرجل عدل انكلترا على ضياع المركز وحكم عليه بغرامة مع انه كان يمكن انقاذه من العقاب . ومن هذا القبيل أن سفير الامير كان في باريز صدمت عربته عاجلة صغيرة لأحد الاهالي فحطمتها ولما رأى السفير ذلك عرض على الرجل ان يعوض عليهِ مما فقد في الحال ولكن الرجل كان ذا نزق فلم يكلم السفير واقام عليهِ قضية وكان كاتب المحكمة جاهلا مثل صاحب القضية فقبلها وأرسل انذاراً الى السفير كأنما السفير تحت سلطة القانون . فاعرض السفير الاميركي عن الانذار وأرسله الى وزارة الخارجية وكانت النتيجة ان الانذار الغي في الحال والكاتب عزل وحقوق الرجل ضاعت بقوة الامتياز الذي يخصُّ بمعاشر السفراء

ويحق لنساء السفراء ما يحق للملكات لان السفير يتقدم وزراء الامة التي يقيم في ارضها ولزوجته حق التقدم ايضاً على كل نساء المملكة ما خلا الاميرات . وقد حدث أشكال بسبب امتياز النساء هذا في روميه من بضعة اعوام لان احدى الاميرات دعت عليَّة القوم الى ليلة راقصة فلما انتهى الرقص دعت الاميرة بعض صاحباتها وقريباتها للطعام ولم تدعُ زوجة السفير الفرنسي ولا زوجة السفير الانكليزي الى المائدة فخرجت

السيدتان من قصر الاميرة مغضبتين. وانكر السفيران فعل الاميرة وطلبا من حكومة ايطاليا أن تحملها على الاعتذار وكانت حكومة الطليان في أول الامر مستخفة بالحكاية فلما كثرت عليها المسائل والرسائل من لندن وباريز اضطرت الى العدول عن رأيها وارضت السفيرين

ويعفى السفراء من الضرائب المحلية والعوائد ورسوم الجمارك حتى ان الاشياء الواردة باسم السفير أو أحد عماله من الخارج ترسل بلا تفتيش ولا تنقيب. وربما ذكر القراء ما حدث في الاسكندرية من زمان قريب بشأن هذا الامتياز فان قنصل روسيا وقع في مشكلة ورأى عمال الجمرك ان الصناديق التي ترد باسمهِ أو بأسماء مختلفة لترسل على يده الى من يشاء كثرت فيها المهربات فافضى الامر الى ان الحكومة الروسية عزلت قنصلها أو نقلتهُ من الاسكندرية ولكن حكومة مصر لم يكن لها سلطة عليه مع انهُ أهانها وهرّب الممنوع الى بلادها على طريقة كان لها دوي كبير

على ان السفير لا يجوز له شيء واحد لقاء كل هذه الامتيازات هو التدخل في السياسة الداخلية المتعلقة بالبلاد التي يقيم فيها فاذا عرف عنهُ تداخل من هذا القبيل ولو كان صغيراً سقط من مقامهِ العالي واضطرّ الى الرحيل. وقد يحدث من هذا القبيل ما يوقع السفير في حيرة وعقدة لا حلّ لها مثل ان يكون حزب الاحرار في انكلترا مخالفاً لحزب المحافظين في عقد المحالفة مع روسيا فاذا سئل سفير الروس رأيهُ يوماً وهو يعلم ان عقد المحالفة يفيد بلاده لم يجز له ان يمدح حزباً ويذم حزباً

في البلاد ولا ان يعضد فريقاً بقول له أو رأي لان أقل اشارة بهذا المعنى تعدّ تدخلاً في السياسة الداخلية لا يجوز . وهذا ايضاً قليل حدوثه . اعلم من قبيله حادثة واحدة قديمة جرت في لندن حين تدخل سفير النمسا في سياسة الاحزاب الداخلية تدخلاً لو تمَّ المراد منهُ لأدى الى سقوط وزارة الانكليز . وقد كان صنيع هذا السفير يومئذٍ شاذاً الى الغاية القصوى وموجباً للغضب حتى ان حكومة الانكليز اعرضت عن المجاملة وامتياز السفراء وقبضت على هذا السفير وأمرت بمحاكمته فحكم عليهِ القاضي بالحبس . ولما علمت النمسا ببيان ما فعل سفيرها في لندن تبرأت منهُ ورضيت بمحاكمتهِ ومعاقبته فلم ينشأ اشكال ولا حرب

واذكر حادثة اخرى قريبة العهد من هذا النوع هي ان رجلاً من الاميركيين أرسل الى سفير انكلترا في واشنطون كتاباً يسأله فيهِ رأيه عن اي الرجال اصلحهم لرئاسة الجمهورية الاميركية وكان الرئيس يومئذٍ المستر كليفلاند وهم يسعون في اعادة انتخابه فكتب السفير — واسمه اللورد ساكفيل — رداً الى صاحبه الاميركي يقول ان كل اميركي يحب الخير لبلاده يجب ان يسعى في بقاء المستر كليفلاند رئيساً لجمهوريتها . ونشرت بعض الصحف الاميركية هذا الكتاب فهاج الجمهور ولا سيما الحزب المخالف لكليفلاند وعدوا تدخل السفير الانكليزي في امورهم الداخلية اثماً لا يغتفر حتى ان المستر كليفلاند اضطر الى طلب اقالته وأعاد اليهِ أوراق تعيينه فكان لتلك الحادثة صدى ودوي من نحو عشرين سنة وكادت تؤدي الى وقوع الحرب بين الانكليز والاميركان

لان اللورد سولسبري وهو يومئذٍ وزير الانكليز عدَّ فعل الرئيس اهانة لسفيره فلم يعيّن سفيراً بدله حتى انتهت الانتخابات الاميركية وخرج كليفلاند من منصب الرئاسة

هذا الذي لا يجوز للسفراء واما الذي يجوز فاكثر منهُ كما رأيت وليس في الارض فئة اخرى تتنعم بكل هـذه النعمة وهذا الامتياز في ديار المتمدنين

اسكندر شاهين

الاندلس الجديدة

ننشر لقراء « الزهور » في الصفحات التالية قصيدة عصماء في رثاء مقدونيا وخروجها من يد الدوله العثمانية بعد عقد الصلح في مؤتمر لندرا . وهذه القصيدة من أبدع ما جاءت به قريحة شاعر عربي ، فقد جمعت من جزالة اللفظ ومتانة السبك وسمو الخيال وبلاغة الارشاد ما يستفز القاريء طرباً عند كل بيت من أبياتها ، ويستوقفه معجباً بكل معنى من معانيها . اما ناظم دررها الغوالي فيحق له ان يجلس على عرش دولة البيان ويلقب بأمير الشعر في هذا العصر ، كما يسلم بذلك كل من يطالع هذه القصيدة النفيسة ، وان كان يؤاخذ شاعرها بانه مزج الدين بالسياسة — ولا دين للسياسة . فها هي الدول التي كانت معادية لتركيا بالامس تكاد اليوم تشهر بعضها على بعض حرباً طاحنة وهي على دين واحد ومعتقد واحد :

يا أختَ أندَلُسٍ عليكِ سلامُ　　هوَتِ الخلافةُ عنكِ والإسلامُ

نزلَ الهلالُ عن السماءِ فليتَهـا　　طُويت وعمَّ العالمينَ ظلامُ

أزرى بهِ وأزالهُ عن أوجِهِ　　قدَرٌ يحطُّ البدرَ وهو تمـامُ

جرحانِ تمضي الأمتانِ عليهما　　هذا يسيلُ وذاكَ لا يَلتـامُ

بكما أُصيبَ المسلمونَ وفيكما　　دُفنَ اليراعُ وغيّبَ الصمصامُ

لم يُطوَ مأتمُهـا وهذا مأتمٌ　　لبِسُوا السوادَ عليكِ فيـهِ وقاموا

ما بينَ مصرعِها ومصرعكِ انقضت　　فيما نحبُّ ونكرهُ الأيَّامُ

خلت القرونُ كليلةٍ وتصرَّمت دولُ الفتوحِ كأنها أحلامُ
والدهرُ لا يألو الممالكَ منذراً فاذا غفلنَ فما عليهِ مَلامُ

٭ ٭ ٭

مقدونيا ، والمسلمونَ عشيرةٌ ، كيف الخؤولةُ فيكِ والأعمامُ ؟
أتراهمو هانوا وكانَ بعزّهم وعلوّهم يتخايلُ الاسلامُ ؟
اذ أنتِ نابُ الليثِ ، كلُّ كتيبةٍ طلعت عليكِ فريسةٌ وطعامُ
ما زالتِ الأيامُ حتى بُدّلت وتغيّرَ الساقي وحالَ الجامُ
أرأيتِ كيفَ أُديلَ من أسدِالشرى وشهدتِ كيف أُبيحتِ الآجامُ
زعموكِ همًّا للخلافة ناصباً وهلِ الممالكُ راحةٌ ومنامُ
ويقولُ قومٌ كنتِ أشأمَ موردٍ وأراكِ سائغةً عليكِ زحامُ
ويراكِ داءَ المُلك ناسُ جهالةٍ بالمُلكِ منهم علّةٌ وسقامُ
لو آثروا الاصلاحَ كنتِ لعرشهم ركناً على هامِ النجومِ يقامُ
وهمُ يقيّدُ بعضهم بعضاً بهِ وقيودُ هذا العالمِ الأوهامُ
صوَرُ العمى شتّى وأقبحُها اذا نظرتْ بغير عيونهنَّ الهامُ
ولقد يقامُ من السيوفِ وليسَ من عثراتِ أخلاقِ الشعوبِ قيامُ

٭ ٭ ٭

ومبشّرٍ بالصلحِ قلتُ لعلّهُ خيرٌ عسى أن تصدقَ الأحلامُ
تركَ الفريقانِ القتالَ وهذهِ سلمٌ أمرُّ من القتالِ عقامُ
ينعى الينا المُلكَ ناعٍ لم يطأْ أرضاً ولا انتقلتْ بهِ أقدامُ
برقٌ جوائبهُ صواعقُ كلُّها ومن البروقِ صواعقٌ وغمامُ
ان كانَ شرٌّ ، زارَ غيرَ مفارقٍ ، أو كان خيرٌ ، فالمزارُ لمامُ
بالأمسِ أفريقا تولّت وانقضى مُلكٌ على جيدِ الخضمِ جسامُ

نظم الهلالُ بهِ ممالكَ أربعاً أصبحنَ ليس لعِقدهنَّ نظـامُ
من فتحِ هاشمَ أو أميَّةَ لم يضعْ آساسَها تترٌ ولا أعجامُ
واليوم حُكمُ اللهِ في مقدونيـا لا نقضَ فيـهِ لنا ولا ابرامُ
كانت من الغربِ البقيةُ فانقضت فعلى بني عثمانَ فيهِ سلامُ

***

أخذَ المدائنَ والقرى بخناقِهـا جيشٌ من المتحالفينَ لهامُ
غطَّت بهِ الأرضُ الفضاءُ وجوهَها وكست مناكبَها بهِ الآكامُ
تمشي المناكرُ بين أيدي خيلهِ أنَّى مشى والبغيُ والإجرامُ
ويحثُّهُ باسم الكتابِ أقسةٌ نشطوا لما هو في الكتاب حَرامُ
ومسيطرون على الممالكِ سُخِّرت لهم الشعوبُ كأنها أنعامُ
من كلِّ جزّارٍ يرومُ الصدرَ في نادي الملوكِ وجَدُّهُ غنَّامُ
سكّينهُ ويمينـهُ وحزامـهُ والصولجانُ جميعُهـا آثامُ

***

عيسى سبيلُك رحمـةٌ ومحبةٌ في العالمينَ وعصمةٌ وسلامُ
ما كنتَ سفَّاكَ الدماءِ ولا آمراً هانَ الضعافُ عليـهِ والأيتامُ
ياحاملَ الآلامِ عن هذا الورى كثُرت عليـهِ باسمكَ الآلامُ
أنت الذي جعلَ العبادَ جميعَهم رَحِماً وباسمك تُقطعُ الأرحامُ
أنتِ القيامةُ في ولاية يوسفٍ[1] واليومَ باسمكَ مرتين تقامُ
كم هاجَهُ صِيدُ الملوكِ وهاجَهم وتكافأَ الفرسانُ والأعلامُ
البغيُ في دينِ الجميعِ دنيّـةٌ والسلم عهدٌ والقتالُ ذمامُ
واليومَ يهتف بالصليبِ عصائبٌ همُ للالهِ وروحهِ ظُلّامُ

---

(١) يوسف صلاح الدين الايوبي

خنطوا صليبَك والخناجرَ والمُدى كلٌّ اداةٌ للأذى وحِمامُ
أوَ ما تراهم ذبَّحوا جيرانَهم بين البيوتِ كأنهم أغنامُ
كم مُرضَعٍ في حجر نعمتهِ غدا وله على حدِّ السيوفِ فطامُ
وصبيةٍ هتكت خميلةُ طهرهـا وتناثرت عن نورهِ الاكمامُ
وأخي ثمانينَ آستبيح وقارُهُ لم يغنِ عنهُ الضعفُ والأعوامُ
وجريحِ حربٍ ظامىءٍ وأدُوهُ لم يعطفهمو جرحٌ دمٍ وأوامُ
ومهاجرينَ تنكَّرت أوطانُهم ضلّوا السبيلَ من الذهولِ وهاموا
السيفُ ان ركبوا الفرارَ سبيلُهم والنطعُ ان طلبوا القرار مقامُ
يتلفّتونَ مودّعينَ ديارَهم واللحظُ ماءٌ والديارُ ضرامُ

* * *

يا أمةً بفروقَ فرَّقَ بينهم قدرٌ تطيشُ اذا أتى الأحلامُ
فيما التخاذلُ بينكم ووراءكم أممٌ تُضاعُ حقوقُها وتضامُ
الله يشهد لم أكن متحزّباً في الرزءِ لا شيَعٌ ولا أحزامُ (١)
واذا دعوتُ الى الوئام فشاعرٌ أقصى مناه محبـةٌ ووئامُ
من تُضجرُ البلوى فغايةُ جهدهِ رُجعَى الى الأقدار واستسلامُ
لا يأخذنَّ على العواقب بعضكم بعضاً فقِدْماً جارتِ الأحكامُ
تقضي على المرءِ الليـالي أو لهُ فالحمد من سلطانها والذامُ
من عادةِ التأريخ ملءُ قضائهِ عدلٌ وملءُ كنانتيهِ سهـامُ
ما ليس يدفعـهُ المهنَّدُ مصلتاً لا الكتْبُ تدفعـهُ ولا الأقلامُ
انَّ الأُلى فتحوا الفتوح جلائلاً دخلوا على الأُسْدِ الغياضَ وناموا
هذا جنـاه عليكمو آباؤكم صبراً وصفحاً فالجناة كرامُ

(١) الاحزاب وزناً ومعنى

رفعوا على السيف البنــاء فلم يَدُمْ ما للبنــاءِ على السيوف دوامُ
أبقى الممالكِ ما المعــارف أسُّهُ والعدل فيــهِ حائطٌ ودعامُ
فاذا جرى رشداً ويمناً أمرُكم فامشوا بنورِ العــلمِ فهو زمامُ
ودعوا التفاخرَ بالتُراث وان غلا فالمجد كسبٌ والزمانُ عصامُ
انَّ الغرور اذا تملَّك أمةً كالزهر يُخفي الموت وهو زؤامُ
لا يعدلنَّ المُلك في شهواتكم عَرَضٌ من الدنيــا بدا وحُطامُ
ومناصبٌ في غير موضعها كما حلَّت محلَّ القدرة الأصنــامُ
الملكُ مرتبة الشعوبِ فان يفتْ عزَّ السيــادة فالشعوب سوامُ
ومن البهائم مُشبَعٌ ومدلَّلٌ ومن الحرير شكيمةٌ ولجامُ
وقف الزمانُ بكم كموقف «طارقٍ» اليأس خلفٌ والرجاء أمامُ
الصبر والإقدام فيهِ اذا همــا قَتلاَ فأقتلُ منهمــا الإحجامُ
يُحصي الذليلُ مدى مطالبهِ ولا يُحصي مدى المستقبَلِ المقدامُ
هذي البقية لو حرصتم دولةٌ صال الرشيد بهــا وطال هشامُ
قِسمُ الأئمةِ والخلائف قبلكم فى الأرض لم تُعدَل بهِ الأقسامُ
سرَت النبوَّة في طهورِ فضائهِ ومشى عليهِ الوحيُ والإلهــامُ
وتدفَّقَ النهرانِ فيــهِ وأزهرت بَغداد تحت ظلالهِ والشامُ
أثرتْ سواحله وطابت أرضــهُ فالدرّ لجٌ والنُضار رغامُ

* * *

شرَفاً أدِرْنَةُ هكذا يقف الحمى للغاصبين وتثبت الأقــدامُ
وتردُّ بالدمِ بقعــةٌ أُخذت بهِ ويموت دون عرينــهِ الضرغامُ
والمُلك يؤخذُ أو يُرَدُّ ولم يزل يرث الحسامَ على البلاد حُسامُ
عِرضُ الخلافةِ ذاد عنهُ مجاهدٌ في الله غازٍ فى الرسول همامُ

تستعصم الأوطانُ خلف ظباتهِ | وتعزُّ حول قناتهِ الأعلامُ
عثمان في بردَيه يمنع جيشهُ | وابن الوليـد على الحمى قوّامُ
علم الزمان مكان «شكري» وانتهى | شكر الزمان اليهِ والإعظامُ

☆☆☆

صبراً أدِرْنَة كل مُلكٍ زائلٍ | يوماً ويبقى المالك العلاّمُ
خفتَ الإذانُ فما عليك موحّدٌ | يسعى ولا الجُمَع الحسان تقامُ
وخبت مساجدُ كنّ نوراً جامعاً | تمشي اليـهِ الأسد والآرامُ
يدرجن في حرم الصلاة قوانتاً | بيضَ الازار كأنهنّ حمامُ
وعفَت قبور الفاتحين وفُضَّ عن | حُفَرِ الخلائف جنـدل ورجامُ
نُبشت على قعساءِ عزّتهـا كما | نُبشت على آستعلائها الاهرامُ
في ذمة التـاريخ خمسةُ أشهر | طالت عليكِ فكل يوم عامُ
السيف عار والوباء مسلطٌ | والسبـل خوفٌ والثلوج ركامُ
والجوع فتّاكٌ وفيكِ صحابةٌ | لو لم يجوعوا في الجهاد لصاموا
ضنُّوا بعرضِكِ أن يباع ويُشترى | عِرضُ الحرائر ليس فيهِ سوامُ
ضاق الحصارُ كأنما حلقاتهُ | فلكٌ ومقذوفاتهـا أجرامُ
ورمى العدى ورميتِهم بجهنّمٍ | ممـا يصبُّ الله لا الأقوامُ
بعتِ العدوَّ بكل شبرٍ مهجةً | وكذا يباع المُلك حين يرامُ
ما زال بينكِ في الحصار وبينهُ | شُمُّ الحصون ومثلهنّ عظامُ
حتى حواكِ مقابراً وحويتـهِ | جثثاً فلا غبنٌ ولا استذمامُ

ازهار واشواك

نقل رفات اليازجي



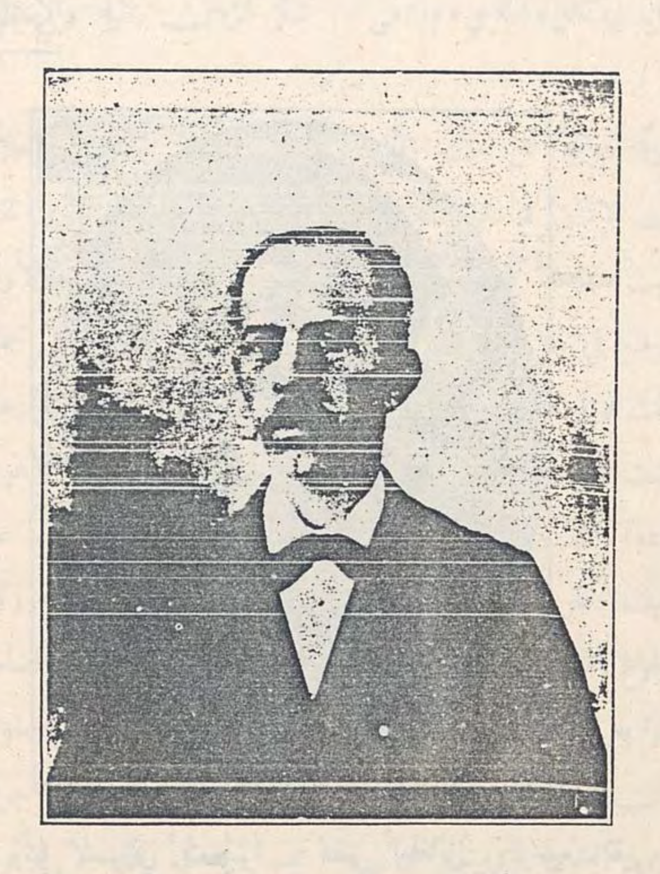
أمضي وتبقى صورتي فتعجَّبوا   تمضي الحقائقُ والرسومُ تقيمُ
والموت تجلبهُ الحياةُ فلو حوى   روحاً لمات الهيكلُ المرسومُ

الشيخ ناصيف اليازجي

لا يحقّ لنا بعد الآن ان نقولَ ان الشرق لا يزال يجهل قدر أُدبائهِ ونوابغهِ . فان الحركة التي رأيناها في هذه السنة لاكرام الاحياء من ادبائنا وكتّابنا ، وتخليد ذكر الدارجين منهم تدلّ على نهضةٍ مباركةٍ في

النفوس وترقٍّ محمود في الأخلاق

أقول ذلك بمناسبة الحفلة المؤثرة التي أُقيمت على أحد أرصفة



أنت في الدنيا كضيف نازلٍ حلَّ في الاحياء حيناً وانصرَفْ
فاحيَ بالذكرِ اذا العمرُ انقضى واجعلِ الرسمَ من الجسمِ خلَفْ

الشيخ ابرهيم اليازجي

محطة مصر في الرابع من الشهر الجاري وداعاً لعظامٍ بالية كانت تحييها بالأمس روح نابغةٍ من نوابغ كتّابنا ، وقد أتى جمهورٌ من الادباء والوجهاء

والفضلاء في مصر يشيعون تلك العظام بتجلة واكرام كما يُشيَّع الامراء والملوك ، واحتشدوا يبكون سليل الأسرة اليازجية ويعددون فضلهُ ومناقبهُ

افتتح التآبين والمراثي سعادة احمد باشا زكي سكرتير مجلس النظار فأطنب في مدح الفقيد وغيرتهِ على لسان العرب ورثاهُ باسم مصر بكلام فصيح بليغ، ونحا نحوهُ حضرة رفيق بك العظم ، فأتى في خطاب جامعٍ على لمحةٍ من تاريخ اللغة العربيـة ونهضتها منذ نصف قرن على يد أمثال البستاني والنقاش واليازجي والأسير والشدياق . وتكلم على الأثر الدكتور خليل بك سعاده موجهاً الخطاب الى الفقيد الكريم وقد أخذ التأثر منهُ ومن الحاضرين مبلغه . ثمَّ ألقى خليل مطران قصيدةً من شعرهِ المعروف بسموّ الافكار وابتكار المعاني ، قال في مطلعها :

أحننتَ من شوقٍ الى لبنانِ　　　وا رحمتا لكَ من رهينٍ عانِ
شوقٌ تكابدُهُ ويثوي منكَ في　　　مثوى الرُّؤَى من مهجةِ الوسنانِ
جسُّوا مظنَّةَ حسّهِ ، أفنـابضٌ　　　فيها فؤادُ متيّمٍ ولهانِ
واستطلعوا الرسمَ المحيلَ فهل بهِ　　　يومَ المآب لقرّةٍ عينانِ

وقال في ختامها مخاطباً نعش الفقيد :

ابلغْ وديعتَنا الى أحبابنـا　　　واحمل تحيّتنا الى الأوطانِ
كنا نودُّ بك المصيرَ الى الحمى　　　وتأسّيَ الإخوانِ بالإخوانِ
لكن عدانا البينُ دون عناقِهم　　　فتولَّ وليتعانقِ الدمعانِ

وأنشد أسعد افندي داغر أبياتاً جميلة استنهض بها سوريا لتستقبل الوديعة الثمينة التي تردّها اليها مصر اليوم

ثمَّ صفر البخار مؤذناً في الرحيل وقطر العجلة الخصوصية التي تقلُّ رفات فقيد اللغة وقد كُسيت باكاليل الزهر والريحان . وسارت وراءها الأبصار والقلوب تشيعها من القطار الى الباخرة ومن الباخرة الى ثغر بيروت حيث يستقبلها ادباء سوريا كما ودَّعها ادباء مصر لتُضمَّ هناك عظام ابرهيم الى عظام أبيهِ ناصيف ، وشقيقهِ ، خليل في مدفنٍ واحد وقد كُتبت عليهِ تلك الأبيات التي تصدق في الوالد والولد وهي من نظم الفقيد :

هذا مقامُ اليازجيِّ فقفْ بهِ ... وقُل السلامُ عليكَ يا علَمَ الهدى
حرَمٌ تحجُّ اليهِ أربابُ الحجى ... أبداً وتدعو بالمراحمِ سَرمدا
هو مغربُ الشمسِ التي كم اطلعت ... في شرقِ آفاقِ البلاغة فرقدا
فخرُ النصارى صاحبُ الغُرر التي ... ضرَبتْ على ذكرِ « البديع » و « احمدا »
هذا عمادُ العلم مال بهِ القضا ... فأمال ركناً للعلوم مشيَّدا
أمسى تجاهَ البحر جانبَ تربةٍ ... هي « مجمع البحرين » أشرف محتدا
فعليك يا ناصيفُ خيرُ تحيةٍ ... طابت بذكرك حيثُ فاح مردَّدا
لو أنصفتك النائبات لغيَّرت ... عاداتها ووقَتكَ حادثة الرَّدى
تتنزلُ الأملاكُ حولك بالرضى ... ويجودُ فوقك باكراً قطرُ الندى
وجميلُ حظّك في المماتِ برحمةٍ ... أرّخ وفضلكَ في الصحائفِ خُلّدا

هذا بعض ما يسمح لي المقام بذكرهِ عن حفلة مساء يوم الاربعاء على محطة مصر . وقد زاد الموقف وقاراً وخشوعاً وجود أخت الفقيد السيدة وردة اليازجي الشاعرة المجيدة وهي متشحة بالسواد ، مكسورة الفؤاد . نظرتُ اليها عن بعدٍ محترماً حزنها ، راثياً لمصائبها ، ولم اتمالك من سكب دمعة عند منظر هذه « الخنساء الجديدة » ماصر

ثمرات المطابع



فتحي باشا زغلول

* شرح القانون المدني [١] — هذا كتاب لم يوجد في مصر باللغة العربية من قبل اليوم ؛ وربَّ كتابٍ واحدٍ يعدل جملة كتب . وضعهُ سعادة المفضال احمد فتحي باشا زغلول وكيل نظارة الحقّانية ؛ وكفى بذكر اسم

(١) يطلب من مطبعة المعارف ومكتبتها بالفجالة بمصر وثمنه مئة قرش صاغ .

ذلك الرجل دليلاً على فضله . وقد رمى سعادته بنشر هذا المؤلَّف النفيس الى ثلاثة أغراض : « اولها تقريب قواعد القانون المدني من أذهان الكافة تسهيلاً لمعرفة أحكام المعاملات ؛ وثانيها افادة طلبة الحقوق في درسهم بما يجدونه فيه من المرشد الى المعلومات التي يحتاجون لمراجعتها فيكون لهم منهُ متنٌ يذكّرهم بما تلقوه ؛ وثالثها استنهاض همة القانونيين الى الاشتغال بالقانون المدني ووضع ما يحتاجه من الشروح باللغة العربية ليكون لنا من وراء عملهم مؤلفات تغنينا عن التماس علم القانون من غيرنا على الدوام » . فالكتاب ، على ما ترى ، مفيد من ثلاث جهات ، ولازم لكل جهة على حدة . وليس يعرف ما عاناه المؤلف الفاضل من التعب في وضع هذا الكتاب سوى المشتغلين بعلم الحقوق من طلَبَةٍ ومحامين وقضاة . فان القانون المدني المصري انما أُخذ في معظمهِ عن القانون المدني الفرنساوي أخذاً انتقده المتشرّعون ، وعابهُ القانونيون من وجوه شتى ، فلا جرَم ان يكون قد لقي فتحي باشا في وضع الشرح المذكور عقبات كؤوداً ، وكابد مشقاتٍ جلَّى ، حتى تسنّى له ان يُخرج للناس هذا المؤلَّف المفيد . والى هذا أشار سعادتهُ بقوله : «أتعبني النصُّ الفرنساوي بايجازه المخلّ وتشويش ترتيبه الذي يشتت الذهن ويضيع الوقت ؛ ولكنّ النصّ العربي أعياني اعياءً » . وقد قسم الكتاب الى أربعة أقسام هي : قسم الاشخاص والاموال وما يترتب عليها من الحقوق ؛ وقسم التعهدات والالتزامات ؛ وقسم العقود المعينة والتأمينات ؛ وقسم الأدلة . واعتمد في ذلك جميعه الرجوع الى أشهر المؤلفين باللغتين العربية

والفرنساوية فجاء الكتاب الذي نحن بصدده مرجعاً يُرجع اليه ، ومورداً سائغاً يُستقى منه

« فشرحُ القانون المدني » حلقة جديدة أُضيفت الى سلسلة ذهبية مما ألّفهُ وترجمهُ احمد فتحي زغلول تلك السلسلة التي تعلّق اسم هذا الرجل المفضال الى جانب أسماء الرجال الذين عملوا حقيقةً على افادة الأمة المصرية ، وخدموها اجلّ الخدمات ، فحفظ لهم التاريخ الذكر الطيّب والجميل العظيم

* محاسن الطبيعة [(١)] — للمرحوم اللورد افبري شهرة واسعة بين أهل العلم والأدب لا يجهلها أحد ممن وقف على مؤلفاتهِ الكثيرة وآرائهِ الشهيرة . وقد نُقلت مؤلفاته الى معظم اللغات الاوروبية وغيرها وكان للغة العربية حظ باربعة منها عني بنقلها اليها حضرة الكاتب الأديب وديع افندي البستاني وهي : « معنى الحياة » و « مسرات الحياة » و « السعادة والسلام » و « محاسن الطبيعة » . وقد ظهر الكتاب الأخير حديثاً فاذا بهِ كسائر مؤلفات ذلك الرجل العظيم آية من آيات السحر الحلال اذ بحث فيهِ المؤلف في عالمَي الحيوان والنبات ثمَّ تناول وصف المناظر التي يتألف منها عالم الشهادة كالبحور والانهار والبراكين والجبال والأودية والافلاك على اختلاف أنواعها . فوصف محاسن كلٍ منها بما لم يبقَ معهُ مطمعٌ لمستزيد ، ونسّق كلامهُ احسن تنسيق بحيث يأخذ بمجامع الفؤاد فلا يكاد القارئ يفرغ من قراءة وصف حتى يتشوّق الى

(١) طُبع بمطبعة المعارف ويطلب منها وثمنه ٦ قروش صاغ

غيره ، وهذه احدى مميزات هذا الكتاب

ولا شك ان اللغة العربية في افتقار شديد الى أمثال هذه المؤلفات الأدبية مع أنها غنية بالكتب التي كان يجب ان تكون غنيةً عنها . ويسرنا أن نرى اليوم في الشرق نقظةً لمطالعة المؤلفات الأدبية مما يبشرنا بنهضة جديدة يكون للّغة من ورائها حياة جديدة . ولا يخفى ان مقياس ارتقاء كل امة هو مؤلفاتها الأدبية فبقدر انتشار هذه المؤلفات تكون رفعة شأنها ومبلغ عظمتها

والمجال أضيق من أن يتناول اسهاباً في وصف كتاب « محاسن الطبيعة » المشار اليه فهو حافل بفوائد تضيق هذه السطور عن تعدادها ويكفي القول بانهُ من الكتب التي قد اهتمت مطبعة المعارف بنقلها ونشرها مع ما هو معروف عن هذه المطبعة من الحرص في نشر الكتب الجزيلة النفع بين ابناء اللغة العربية

ومما يزيد في قدر الكتاب الذي نحن بصدده انهُ صدر بيننا على أثر وفاة مؤلفهِ اللورد افبري ؛ فقد نعاه الينا البرق منذ نحو اسبوع بعد ان ناهز الثمانين من عمره . فذهب مبكياً عليهِ وترك وراءهُ ذكراً يبقى ما بقي العلم والأدب س .

* لسان العرب — مجلة « تاريخية اجتماعية علمية أدبية » يصدرها في الاستانة مرَّةً في كلّ شهر حضرة الفاضل احمد عزت افندي الاعظمي. وقد تصفحنا ما ورد علينا منها فراقنا ما احتوتهُ من المواضيع ورجونا لها سعة الانتشار